وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس المدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
تاريخ

المعارضة في عصر الدولة المرابطية
(448هـ - 541هـ / 1056م - 1146م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط.

إعداد:
- وردة تيفن
- حبيبة سعيدي

إشراف:
عبد القادر بوعقادة

السنة الجامعية 1436-1437هـ
2016/2015م

وزارة التعليـــم العـالـي والبـــحث العلمـــي
جامعـــة يحـــي فارس المـدية
كلية العلــوم الإنسانية والاجتماعيـة
قسم العلوم الإنسانية
تاريخ

المعارضة في عصر الدولة المرابطية
(448هـ - 541هـ / 1056م - 1146م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط.

لجنة المناقشة	
توفيق مزاري	رئيسا
عبد القادر بوعقاد	مشرفا
حمزة عبد الصمد	مناقشا

السنة الجامعية 1436-1437هـ
2016/2015م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحمد لله رب العالمين،الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراب المنير من حث الأمة على طلب العلم، محمد صلى الله عليه وسلم،

أما بعد

إنه لمن واجبنا أن نشكر الله عز وجل على إتمامنا لهذا العمل المتواضع الذي نسأل الله أن يكون في ميزان حسناتنا.

ولأنّ الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم واجب، فإنّنا نزفّ أسمى عبارات الشّكر إلى كل من ساهم فيه من قريب أو من بعيد، ونخص بالذكر أستاذنا الفاضل الدكتور المشرف "عبد القادر بوعقادة"

دون أن لا ننسى أساتذتنا الكرام: حمزة، عصام، شعيبي، كولة، مالكي، حاجي، يضاف إليهم كل من الأستاذ لقاء، رابعي، صحرة

وشكر خاص إلى أساتذة كلية العلوم الإنسانية قسم التاريخ الذين كانوا عونا وخير سند لنا.

ونشكر هم على الجهد الذي بذلوه من أجلنا

وردة حبيبة

إهـــــداء

إلى من جعل الله طاعتهما مقرونة بعبادته عز وجل: والدتي التي جنتي تحت أقدامها وأبي الذي ضحى لأجل أن يراني في درب النجاح سارية

إلى إخوتي أدامهم الله لي سندا

إلى كل الأحبة والأهل والأصدقاء الذين أحببتهم وأحبوني في الله

إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب أو من بعيد ولو بالدعاء، أخص بالذكر محمد، ليندة

إلى زملاء الدفعة، خاصة تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع



وردة

إهـــــداء

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلام

أهدي ثمرة جهدي هذا بكل معاني الاحترام والعرفان

إلى مدرسة الحب و الإخلاص إلى منبع الحنان إلى من كان بطنها نهدا إلى من منحتني الحياة إلى التي بحجر آدابها

تربيت و من لبن فضائلها تغذيت كما كنت موضع عنايتك في الصغر أصبحت موضع حبك في الكبر أمي

العزيزة حفظها الله

إلى القلب الطيب الذي رعاني بعطفه وحنانه منذ الصغر و جد كي يرى ثمرة نجاحي إلى الذي سقاني من كأس

الأخلاق فرواني إلى من تعب دون مقابل و لا نظير أبي رمز الإيمان و العطاء حفظه الله و أطال في عمره

إلى من شجعوني ووقفوا إلى جانبي في السراء والضراء أخواتي:دليلة، نوال، سميرة، فريدة

إلى من تربيت معه في ألفة ومحبة وحنان أخي حميد وزوجته

إلي الشموع المضيئة والأزهار المتفتحة للبيت أولاد أخي: عبد الرحيم، أسيل

إلى أجدادي وجداتي أطال الله في عمرهما

إلى أعمامي وعماتي وأخوالي وخالاتي وأبنائهم كل واحد باسمه

إلى أعز صديقاتي الذين جمعتني بهم الحياة: سعيدة، فتيحة، خوخة ،مريم

إلى من شاركتني في عملي صديقتي العزيزة وردة تيفن

إلى كل أساتذة وطلبة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

وفي الأخير أرجوا من الله تعالى أن يجعل عملي هذا نفعا يستفيد منه جميع الطلبة المقبلين على التخرج.

- حبيبة -

قائمة المختصرات:

- د ط: دون طبعة.
- د ت: دون تاريخ.
- د.م.ن: دون مكان نشر.
- د.د.ن: دون دار نشر.
- ت: تاريخ الوفاة.
- م: التاريخ الميلادي.
- هـ: التاريخ الهجري.
- تح: تحقيق.
- تر: ترجمة.
- ط: الطبعة.
- ص: الصفحة.
- ج: الجزء.
- مج: المجلد.
- ع: عدد.

مقـــدّمـــة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا ونبينا وحبيبنا وقرة أعيننا محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فقد امتازت الدولة المرابطية –التي لعبت دورا هاما في التاريخ الإسلامي، خاصة تاريخ المغرب والأندلس– بجهادها في سبيل نشر الإسلام، فيما بين القرنين الخامس والسادس هجريين (11-12م)، وبأمرائها الذين اشتهروا بالعدل والصلاح، رغم اتساع مجالها الجغرافي، الذي امتد من البحر المحيط (المحيط الأطلنطي) غربا، إلى حدود إمارتي بني زيري وبني حماد شرقا، وفي الجنوب وصل إلى حوض نهر السنغال، ليمتد في الشمال إلى حدود الممالك النصرانية بشبه الجزيرة الأيبيرية، متجاوزا البحر المتوسط.

لكن هذه الدولة المترامية الأطراف، رغم أنها عرفت بدولة الفقهاء، إلا أن نظامها لم يُعصم من المعارضة، سواء كانت سياسية سلمية، أو مسلحة، بحمل أصحابها السلاح في وجه السلطة القائمة.

دواعي اختيار الموضوع:

وقد جاء اختيارنا للموضوع المسمى "المعارضة في عصر الدولة المرابطية"، من منطلق الرغبة في الوقوف على أهم أشكال المعارضة، التي ساهمت بشكل كبير في إنهاء الوجود المرابطي في بلاد المغرب والأندلس.

أهمية الموضوع:

تناولنا في دراستنا موضوع المعارضة كمعطى سياسي في العصر الوسيط، وقيمة الرأي المخالف في الحياة السياسية، خاصة ببلاد المغرب، فأخذنا فترة المرابطين نموذجا لذلك، وحاولنا أن نقف على الخفايا والدوافع الحقيقية التي كانت وراء المعارضة، سلمية كانت أو مسلحة، كما يقودنا الموضوع إلى التعرف على أهم التوجهات الفكرية التي كانت سائدة آنذاك.

الإشكالية:

والإشكالية الأساسية التي يدور حولها الموضوع هي ما مدى مساهمة المعارضة –سواء كانت سلمية أو مسلحة– في تقويم الحكم المرابطي في منطقة الغرب الإسلامي؟ ثم دورها في إنهاء سيادة المرابطين على بلاد المغرب والأندلس؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات ولعل أبرزها: ماهي أشكال هذه المعارضة؟ وما مبررات وجودها؟ وهل حققت نجاحا؟ وكيف تعاملت معها السلطة المرابطية؟

الدراسات السابقة:

إن موضوع "المعارضة في عصر الدولة المرابطية" لم نصادفه كعنوان لدراسة خاصة، لكن هذا لا يعني أنه لم يتطرق الباحثون إليه في بحوثهم فيما يخص عصر المرابطين، ومن هذه الدراسات التي اعتمدنا عليها رسالة دوكتراه تحمل عنوان الحياة الفكرية بالأندلس في عهد المرابطين، لمحمد الأمين بلغيث، حيث تحدث في الفصل التمهيدي عن دولة المرابطين في الأندلس، وهناك أيضا رسالة ماجستير بعنوان السلطة والمتصوفة في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين لفاطمة الزهرة جدو، ويضاف إليهما الدراسة التي قدمها عمر بن حمادي بعنوان الفقهاء في عصر المرابطين.

المنهج المتبع:

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي، هذا المنهج الذي يهتم بدراسة الحقائق والأحداث الماضية من خلال تتبع الوثائق والسجلات، ومن ميزاته أنه بقدر ما يهتم بالتأريخ للحادثة، فهو يقوم بجمع البيانات عنها، مثلما يهتم بتصنيف المعلومات وتنظيمها، وهذا ما قمنا به في بحثنا، فلقد استخدمنا البطاقات التوثيقية والمعلوماتية في جمع المادة، من خلال تتبع المسار التاريخي للمرابطين ومعارضيها في بلاد المغرب والأندلس، ثم انتقلنا إلى مرحلة قراءة البطاقات والنصوص التي تحويها، مع إعمال النقد التاريخي والتحليل للوصول إلى حقيقة الحادثة والنتائج المترتب عليها.

الخطة المعتمدة:

اعتمدنا في معالجتنا لهذا الموضوع على خطة قسمناها إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول كان عبارة عن تمهيد، حاولنا من خلاله التعريف بعناصر الموضوع، وذلك بتوضيح معنى المعارضة، وأيضا إعطاء صورة عامة عن دولة المرابطين، أما في المبحث الثاني فكان بعنوان المعارضة السلمية للسلطة المرابطية، حاولنا من خلاله إبراز اتجاهات هذه المعارضة، التي كانت في الغالب معارضة فردية.

في حين تطرقنا في المبحث الأخير إلى المعارضة المسلحة، من خلال ذكر أهم الثورات التي واجهتها الدولة المرابطية، وأنهينا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا الإجابة فيها عن الإشكالية المطروحة، والنتائج المتوصل إليها.

التعريف بأهم المصادر:

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس لصاحبه ابن أبي الزرع، وتكمن أهمية هذا المصدر أنه تناول تاريخ المغرب الأقصى كله منذ سنة 145هـ إلى 762هـ، وبالتالي فهو يتناول دولة المرابطين، وقد أفادنا هذا الكتاب في إلقاء الضوء على كثير من أحداث العصر المدروس، خاصة ما تعلق بأصل المرابطين ونشأتهم وعبورهم إلى الأندلس.
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية: أهم ما يلاحظ على هذا المصدر هو اختلاف المؤرخين حول نسبته، فذهب بعض في نسبته إلى مؤلف مجهول، في حين البعض آخر نسبه إلى لسان الدين ابن الخطيب والذي توفي سنة 776هـ، لكننا توصلنا إلى آخر مستجد حينما قام بتحقيقه عبد القادر بوباية وأرجعه إلى ابن السماك العاملي، مع الإشارة إلى أن محمود علي مكي كان قد نبه عن هذا الانتساب.
- نظم الجمان في أخبار الزمان: صاحبه ابن قطان الذي يعاب عليه تعصبه للموحدين وتحامله على المرابطين، مع ذلك فقد اضطر لتمجيد هؤلاء في بعض المواقف التي تتعلق في جهاد المرابطين، وهذا المصدر الذي بين أيدينا هو قطعة أو جزء نشره محمود علي مكي.

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب وصاحبه ابن العذاري المراكشي، وهو من أهم المصادر التي أرخت للمرابطين في بلاد المغرب والأندلس، فأفادنا في أصل المرابطين، وفي توسعات يوسف بن تاشفين في المغرب والأندلس.
- الحلة السيراء لأبي عبد الله محمد المعروف بابن الأبار، أعاننا كثيرا في ترجمة العديد من الشخصيات، كما أفادنا في ذكر الكثير من الحوادث، التي صعب الوصول إليها.

صعوبات الدراسة:

كان من الطبيعي أن نواجه بعض الصعوبات أثناء الدراسة، وعلى رأس هذه الصعوبات قيمة الموضوع وقلة الفترة الزمنية المخصصة للبحث، كما أن تشعب الموضوع جعل من كل مبحث يمكن أن يصير موضوعا بذاته.

وقد حاولنا أن نلم بكل ما كتب عن المرابطين والقائمين ضدهم بالاعتماد على المصادر والمراجع، إلا أن عامل الزمن كان سيفا سليطا على بحثنا، ومع هذا فإننا وجدنا مساعدة من الأساتذة ذللوا لنا الصعاب في هذا الشأن فنشكر كل من ساهم في توجيهنا ومدنا بما يلزم من المعطيات.

ومع ذلك تبقى هذه الدراسة وكأي عمل بشري موسوم بالخطأ والنقصان، فإن أصبنا في بعض الجوانب، فهذا بتوفيق من الله، وإنْ أخطأنا فحسبنا أجر من اجتهد.

المبحث الأول:

مفاهيم حول

المعارضة والدولة المرابطية

1/ أصول المعارضة عند المسلمين وتطورها

2/ المرابطون وأثرهم في بلاد المغرب الإسلامي

المبحث الأول: مفاهيم حول المعارضة والدولة المرابطية

تحدث في أي دولة من الدول تغيرات داخلية، قد تؤدي إلى تحولات ومنعطفات حاسمة في تاريخها، وحدوث مثل هذه التغيرات، قد تكون ناتجة لظهور معارضة مناوئة للسلطة الحاكمة، وبالتالي الموضوع الجدير بالاهتمام في التجربة السياسية، هو تلك المعارضة التي لا نجد لها تأصيلا، بل تُذكر بطريقة عابرة، تحت عنوان الخروج، البغاة، الحسبة، الأمر بالمعروف، لذلك حاولنا في هذا المبحث تقديم تأصيلا لفكرة المعارضة في الإسلام، وتطورها وصولا إلى دولة المرابطين، هذه الأخيرة التي عرفت معارضة شرسة، لم تكن سببا في انهيارها فحسب، بل كانت سببا في طمس تاريخها، حتى في عصور متقدمة، وبالتالي كانت لهذه المعارضة تداعيات في تاريخ هذه الدولة، لكن السؤال الذي يبقى مطروحا: هل كانت هناك معارضة في التاريخ السياسي الإسلامي قبل العهد المرابطي؟ وإن وجدت، فما هي نظرة الإسلام إليها؟ وما موقف السلطة منها؟

1) أصول المعارضة عند المسلمين وتطورها:

أ) المعارضة لغة واصطلاحا:

في اللغة هي المقابلة على سبيل الممانعة، وعند الأصوليين إقامة الدليل على خلاف ما أقام عليه دليل الخصم[1]، والمعارضة كما في القاموس المحيط من: عارضه أي جانبه وعدل عنه وسار حياله[2].

وفي **الاصطلاح**: هي عدم الموافقة على قرار سبق اتخاذه، أو مناهضة اتجاه لاتخاذ قرار معين[3]، أو هي التي تكون خارج نطاق إطار السلطة أيا كان شكله، فقد يكون على شكل جماعة، أو حركة، أو تنظيم، وجميع هذه المسميات ما هي إلا تعبير واضح عن المعارضة، وهي غير مساندة ومؤيدة

---

[1]- صليبا (جميل): **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية**، ج2 ، د ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص390.

[2]- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت.817هـ): **القاموس المحيط**، تح. مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، د.م.ن، 2005م، ص 647.

[3]- شلبي (احمد): **السياسة في الفكر الإسلامي**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1983، ص90.

للسلطة، أي أنها تقف موقف الضد الساعي للوصول والاستيلاء على السلطة[1]، أوهي إنكار الرعية أو بعضها على سلطة الحكم لتصرف يخالف تشريع الدولة[2]، وعليه فان المعارضة كمصطلح سياسي تضم الأشخاص والجماعات، التي هي معادية كليا أو جزئيا للسلطة الحاكمة[3]، وقد تتحول المعارضة من معارضة سلمية إلى معارضة مسلحة، ويسمى هذا تمرد مسلح أو ثورة، أو قد تتدهور الأمور لتصل إلى ما يسمى حرب أهلية.

أما المعارض: فهو صاحب رأي مستقل، أو هو الذي ينتمي إلى تيار معين التفت آراؤهم، وتحركت للوقوف ضد السلطة الحاكمة، بحيث يقدمون آراء مضادة لآراء السلطة[4]، وإذا وصلت معارضتهم لوجود السلطة الحاكمة بحد ذاتها، فهنا يسمون في الإصلاح الإسلامي "بالبغاة"، الذين عرّفهم العلماء بأنهم الخارجون عن الإمام الحق بغير حق[5]، ويعرف ابن حزم البغاة بأنهم قسمان لا ثالث لهما، إما قسم خرجوا على تأويل في حق الدين فأخطئوا، وإما قسم خرجوا على الإمام أو على من هو في السيرة مثلهم[6].

وبالتالي المعارضة نوعين، معارضة سلمية سواء كانت فردية أو جماعية، ومعارضة مسلحة، وهذه الأخيرة هي التي يقودها البغاة الخارجون عن السلطان المسلم، سواء كان خروج فرد، أو خروج جماعة، في حين المعارضة السلمية تؤمن بالنظام وتعمل على تحسينه، كي يكون بصورة أفضل، لهذا فهي ذات مسعى طيب، وتستخدم الكلمة والقلم في مسعاها وكل الوسائل الشرعية، وهذا العمل هو جزء من مهام أهل العقد والحل، باعتبار أن موضوع المعارضة هو الوقوف في وجه كل مخالف للشرع أو

---

[1]- عبد الخالق (نيفين): **المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي**، ط1، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، 1980،ص12.

[2]- العوضي (احمد): **الحقوق السياسية للرعية**، ط5 ، مؤسسة رمز الأردن، 1995،ص 271.

[3]- الكيالي (عبد الوهاب): **موسوعة السياسة**، ج6 ، ط3، د ت، ص231.

[4]- العموش(بسام): **المعارضة السياسية من منظور إسلامي**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج6، ع2، 2010م،ص232.

[5]- الحصكفي (محمد بن علي ت 1088هـ): **الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار**، تح عبد المنعم خليل إبراهيم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص351.

[6]- ابن حزم (أبو محمد على بن احمد بن سعيد ت:456هـ): **المحلى**، تح، محمد منير الدمشقي، ج11، د ط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د.ت، ص97.

الخطأ –في رأي المعارضين– في السياسات الاجتهادية، والإدارية، والمالية، سواء كانت أمور داخلية أو خارجية[1].

وإن كان أمر قد تنازع فيه المسلمون، فينبغي أن يستخرج كل منهم رأيه ووجهة نظره، فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله ورسوله عمل به، وهذا استنادا لقوله تعالى: {**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىَ اَللهِ وَالرَّسُولِ**}[2]، لذلك نجد مخالفة السلطان للدين هي المبرر الأساسي للمعارضين، كي ينهضوا وينصحوا ويواجهوا بالطرق السلمية دون غيرها، حتى لا تقع الفتنة بين الناس، وهنا يكمن الدور الهام الذي تلعبه المعارضة، والمتمثل في الرقابة على أداء السلطة، فالأخيرة ليست معصومة، وما دام الخطأ وارد فإن تدقيق الآراء لتمييز الخطأ من الصواب يعد أمرا في غاية الأهمية، ووجود المعارضة وأدائها لدورها يحول دون تسلط الحاكم[3].

ب) المعارضة في القرآن والسنة:

صحيح أن لفظ المعارضة لم يرد في **القرآن الكريم**، إلا أنه لا يعني أنها غير متضمنة في ألفاظ أخرى وردت فيه، ويدور معناها حول الاختلاف والمعارضة، فما كلمات التنازع والجدل إلا ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، وهو عدم وجود رأي واحد، مما يدل على وجود "المعارضة"، وبالتالي المدقق في كتاب الله تعالى سيجد فيه آيات، تتناول موضوع المعارضة بطريقة غير مباشرة، حيث لم تنص عليها كلفظ، ولكنها تناولتها كموضوع[4]، ومن ذلك قوله تعالى: {**وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا اَلسَّبِيلَا رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ اَلْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا**}[5]، ونلاحظ في هذا النص القرآني ذما واضحا لمن يطيع السادة والكبراء بغير هدى، حيث يوردونهم موارد الهلاك ويقع الندم[6].

---

[1]– العموش، المرجع السابق، ص239.

[2]– سورة النساء، الآية 59.

[3]– العموش، نفس المرجع، ص ص 239-240.

[4]– نفسه، ص 240.

[5]– سورة الأحزاب، الآية 67-68.

[6]– العموش بسام: نفس المرجع، 240.

كما قال أيضا:{**وَلَا تَرْكَنُواْ إِلَى اَلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ اَلنَّارُ وَمَالَكُم مِّنْ دُونِ اَللَّهِ مِنَ أولياء ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ**}[1]، فهذا نهي رباني عن الركون إلى الظالمين، والركون من ركن، وركنت إلى فلان، أي ملت إليه واعتمدت عليه[2]، وقوله تعالى:{**وَالْعَصْرِ إِنَّ اَلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ اَلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اَلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ**}[3]، وفعل التواصي من أفعال المشاركة أي يوصي بعضهم بعضا، وهذا الفعل هو النصيحة والتي تعني معارضة الخطأ، والسعي لإصلاحه[4].

ومن الآيات الدالة أيضا على المعارضة، قوله تعالى: {**وَشَاوِرْهُمْ فِي اَلأَمْرِ**}[5]، وقوله: {**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**}[6]، فإذا كان الرسول-صلى الله عليه وسلم-مأمورا بالشورى وهو يوحى إليه، فكيف بغيره؟ وهذا القول رده ابن تيمية: "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة"[7]، وبالتالي الشورى تستلزم الوقوف على رأي الآخرين حتى لو كانوا من المعارضين في الرأي، لأن المؤمن يبحث عن الحق من أي مصدر كان[8].

وأيضا قوله عز وجل: {**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي اَلأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ اَلحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ اَلْفَسَادَ وَإِذَا قِيْلَ لَهُ اِتَّقِ اَللهَ أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّةُ بالإثم فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِيسَ اَلمِهَادُ**}[9]، ولأن الله لا يحب الفساد، فمن الواجب إنكاره وتغييره، وهذا هو صلب المعارضة[10]، كما قال تعالى:{**إِنُ اريدُ**

---

[1]- سورة **هود**، الآية 113.

[2]-مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م، ص 370.

[3]- سورة **العصر** الآية 1-3.

[4]- العموش، المرجع السابق، ص 241.

[5]- سورة **آل عمران**، الآية 159.

[6]- سورة **الشورى**، الآية 38.

[7]- العثيمين (محمد بن صالح): **شرح كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية**، ط1، الدار العثمانية، دار ابن حزم، عمان، بيروت، 2004م، ص451.

[8]- العموش، نفس المرجع، ص241.

[9]- سورة **البقرة**، الآية، 205-206.

[10]- العموش، نفس المرجع، ص241.

إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ}[1]، وهذا هو المنهج الإسلامي، فالإصلاح هو الهدف وليس رؤية الذات ولا تغيير السلطة، بل الهدف تغيير عوجها وانحرافها[2].

بالإضافة إلى أن هناك **نصوص نبوية**، رسمت صورة العلاقة بين الحاكم والمحكوم منها: قوله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني"[3]، وقوله: "اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُملوا وعليكم ما حملتم"[4]، وهذه النصوص تدل على الطاعة والصبر على الأمراء، لكنها ليست الطاعة المطلقة، بل هي الطاعة المقيدة بطاعة الله تعالى ورسوله الكريم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إنما الطاعة في المعروف"[5].

ونستشف قضية الصبر أيضا في موقف علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–من المعارضة، فمن خلال كلامه يُلاحظ أن المعارضة مباحة، ما لم تنتقل إلى مقاومة مسلحة[6]، ويكون ذلك بالصبر دون الخروج والنكوص[7]بالبيعة، والاكتفاء بتقديم النصح للراعي والرعية، وكان موقف الحسن البصري[8] من الحجاج أوضح مثال عن ذلك، فعلى الرغم من قوله في وجه الحجاج: "أما أهل السماء

---

[1]– سورة **هود**، الآية 88.

[2]– العموش، المرجع السابق، 241.

[3]- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت:256هـ): **صحيح البخاري، كتاب الأحكام**، رقم 7137، ط1، دار ابن الكثير، دمشق بيروت، 2002م، ص 1764.

[4]- صحيح مسلم بشرح النووي: **كتاب الإمارة (وجوب ملازمة جماعة المسلمين)**، ج12، ط1، المطبعة المصرية بالأزهر،1930م، ص 236.

[5]- صحيح مسلم بشرح النووي، **المصدر السابق**، ص226.

[6]-العسكري(عبود): **أصول المعارضة السياسية في الإسلام**، ط1، دار النمير ودار معهد، سورية، 1997م، ص176.

[7]- **النكوص:** من نكص، نكصا ونكوصا، بمعنى رجع إلى الخلف، ويقال نكص على عقبيه، رجع عما كان قد اعتزمه. انظر، مجمع اللغة العربية، المرجع السابق، ص952.

[8]– **الحسن البصري:** هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري، ولد الحسن في أواخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة، نشأ في بوادي القرى كان من أجمل أهل البصرة، ولد(21-110هـ/642-728م)، انظر الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت748هـ): **سير أعلام النبلاء**، تح شعيب الأرنؤوط ومأمون الصاغرجي، ج4، ط2، مؤسسة الرسالة،1982م، ص ص563-564.

فمقتوك، وأما أهل الأرض فلعنوك"، إلا أنه رأى أن الخروج على الحجاج فتنة عظيمة للأمة، فنهى عن الخروج اتقاء للفتنة، ووقف موقف المعارض للثورات التي شهدها عصره[1].

وأيضا من الأحاديث النبوية المتضمنة قضية الصبر على السلاطين، قوله صلى الله عليه وسلم: "كيف أنت يا أباذر إذا كنت في قوم يستأثرون عليك بالفيء، قال: قلت والذي بعثك بالحق إذا لآخذ بسيفي فأجالدهم حتى الحق بك، قال: أولا أدلك على خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني"[2].

كما وردت في السنة النبوية أحاديث، تحث على عدم الوقوف مع المظالم من السلاطين، يقول الرسول الكريم: "إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني، ولست منه"[3]، وذكر ابن تيمية في الحسبة بقية الحديث: (...ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم، فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض)،[4] وعدم الوقوف مع المظالم يكون بالأخذ على يد الظالم، فهذا الأخير إذا لم يجد من ينكر عليه، فقد يزيد في ظلمه، ولهذا جاء في السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكرا فلينكره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"،[5] وقال: "إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عن سلطان جائر"[6].

---

[1]– عبد الخالق، **المرجع السابق**، ص37.

[2]- ابن أبي عاصم (أبو بكر احمد بن عمرو ت687ه)، **السنة**، باب ما أمر به النبي–صلى الله عليه وسلم– من الصبر عندما يرى المرء من الأمور التي يفعلها الولاة، رقم 1138، تح، باسم فيصل الجوابرة، ج2، ط1، دار الصميعي، 1998م، ص ص742-743.

[3]- ابن أبي عاصم، المصدر السابق، **باب ما ذكر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه وعد من تمسك بأمره وورد حوضه**، رقم 773، ص 509.

[4]- ابن تيمية (تقي الدين أحمد ت.728ه): **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص 12.

[5]- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى ت.679ه): **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، باب ما جاء في تغيير المنكر، رقم.2313، تح. شعيب الأرنؤوطي وهيثم عبد الغفور، ج4، ط1، دار الرسالة العلمية، دمشق،2009م، ص245.

[6]- نفسه، رقم 2315، ص246.

كما أنه جاء في السنة النبوية أحاديث تشير إلى منع الخروج على الإمام أو السلطان، منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من أشار على أخيه بحديده لعنته الملائكة"[1]، وأيضا قوله صلى الله عليه وسلم: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُميّة[2]...فقُتل، فقتله جاهلية، ومن خرج عن أمتي...ولا يتحاش من مؤمنها...فليس مني ولست منه"[3].

وبناءً على ما تقدم، فإن حكم المعارضة –التي هي داخلة في مفهوم النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– تدور بين الوجوب وفرضية الكفاية، أما المعارضة بالقوة والثورة والخروج، فالأصل فيها المنع، لما قدمناه من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، غير أن هناك من أجاز ذلك، يقول العوضي نقلا عن ابن حزم: "ذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة والزيدية إلى أن سل السيوف واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك"[4].

وإن كان بعضهم يرى أن الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير لهما مبرر واضح، وهو عدم جواز إمامة الفاسق، ولهذا خرجوا على الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، من باب التصحيح وتغيير المنكر[5]، وهذا مرده لما قاله ابن تيمية: "وما نهى عنه –صلى الله عليه وسلم– من تصديقهم بكذبهم، وإعانتهم على ظلمهم وطاعتهم في معصية الله ونحو ذلك، مما هو من باب التعاون على الإثم والعدوان"، وقال: "ولا يزال المنكر بما هو أنكر منه، بحيث يخرج عليهم بالسلاح"[6].

---

[1]– الترمذي، المصدر السابق، **باب ما جاء في إشارة الرجل على أخيه بالسلاح**، رقم 2300، ص236.

[2]– **عمية**: بضم العين والميم مكسورة الياء مشددة، هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه. انظر: النووي، المصدر السابق، ص238.

[3]– مسلم بشرح النووي، **كتاب الإمارة**، (وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن)، ج12، ص ص238-239.

[4]– العوضي، المرجع السابق، ص273.

[5]- نفسه، ص 244.

[6]- ابن تيمية: **مجموعة الفتاوى**، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنوار ألباز، ج35، ط3، دار المنصور، 2005م، ص15.

في حين نجد في كتاب النووي أن هناك من ردّ على أهل السنة –الذين رأوا عدم وجوب الخلع والخروج على الحاكم– بقيام الحسين وبن الزبير وأهل المدينة على بني أمية، وكان الرد على هؤلاء في قول القاضي عياض[1]:"وقيل أن هذا الخلاف كان أولا، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم"[2].

ت) نماذج عن المعارضة في التاريخ الإسلامي:

من خلال تناولنا لتعريف المعارضة، تبين لنا أن المعارضة في النظام السياسي الإسلامي موجودة عبر العصور الإسلامية المختلفة، بل حتى في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، فبالرغم من أنه خاتم الأنبياء والرسل ويوحي إليه، إلا أن هذا لم يمنع أن تكون هناك مواقف في حدود السؤال والتساؤل، وذلك لمكانة الرسول صلى الله عليه السلام في نفوس المسلمين[3]، ومن ذلك ما حدث يوم الحديبية، حيث وقف الصحابة ضد الصلح، ومن بينهم عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله: ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أولسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى، قال فعلام نعطي الدنية[4] في ديننا؟، قال: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني"[5].

وإذا فتحنا صفحة الراشدين، فإننا نجد الخليفة أبو بكر–رضي الله عنه– قد حرض الناس على مراقبة أدائه كخليفة، فقال:(أما بعد، أيها الناس: فأني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني...أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي

---

[1]- **القاضي عياض**: هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، فقيها حاذقا بتخريج الحديث من مفهومها، عاقدا للشروط بصيرا بالفتيا والأحكام والنوازل. انظر: أبو عبد الله (محمد): التعريف بالقاضي عياض، تح محمد بن شريفة، ط2، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1982م، ص ص1-4.

2- النووي، المصدر السابق، ص 229.

[3]- العموش، المرجع السابق، ص247.

[4]- **الدنية**: هي الخلطة المذمومة. أنظر، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): **لسان العرب**، مج14، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص 274.

[5]- ابن هشام (محمد أحمد حسين بن الخطيب ت617هـ): **السيرة النبوية**، تح، عمر عبد السلام تدمري، ج3، ط3، دار الكتاب العربي، 1990م،ص263.

عليكم)[1]، ولم يبايعه الناس بالإجماع في أول الأمر، فكان ذلك أول ظهور لمعارضة داخلية بمفهوم التشاور، حيث كانت هناك آراء وأسماء، لكن المسلمين لم يلبثوا أن اتفقوا حول الخليفة أبي بكر[2]، كما اعترض كثيرون على تولية عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– لشدته، لكنه حرضهم هو الآخر على مراقبته حين قال:(رحم الله امرئا أهدى إلينا مساوئنا)[3].

أما الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه– فقد هبّت في وجهه المعارضات، في المدينة أولا ثم في الأمصار[4]، وقد اختلفت المعارضات باختلاف حججها، فهناك من عارضه لأنه محا كتاب الله – يعني كونه جمع الأمة على مصحف واحد– وحمى الحمى[5]، واستعمل أقرباءه، فكان رد عثمان: "أن القرآن من عند الله إنما نهيتكم عن الاختلاف، وأما الحمى فحميته لإبل الصدقة، ومن ادّعى حقا فها أنا ذا"[6].

وبالنسبة للخليفة علي بن أبي طالب–رضي الله عنه– فهو الآخر هبت في وجهة المعارضات، وأولى هذه المعارضات، انطلقت من مكة بقيادة عائشة–زوج النبي صلى الله عليه وسلم–ثم انضم إليها طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وبذلك ظهر أول تكتل مناهض لخلافة "علي"[7]، فمن

---

[1]– ابن هشام، المصدر السابق، ج4، ص 312.

[2]– العموش، المرجع السابق، ص247.

[3]- الماوردي (علي بن محمد حبيب ت450ه): **نصيحة الملوك**، تح، خضر محمد خضر، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م، ص44.

[4]- هواري(زهير): **السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11–132ه/612–750م**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2003م، ص 12.

[5] **- الحمى** كان قديما. وهو مخصص لإبل الزكاة المرصدة للجهاد والمصالح العامة، اتسع في زمن عثمان لاتساع الدولة وازدياد الفتوح، انظر: الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح، عمر عبد السلام تدمري، ج3، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د.م.ن، تهميش ص 430.

[6]- نفسه.

[7]- هواري، نفس المرجع، ص210.

خلاله حاولوا القضاء على حكمه بكافة الوسائل[1]، كما يعتبر معاوية بن أبي سفيان من أشد المعارضين لخلافته[2]،

فقد واجهه في العديد من المواقع، أخطرها موقعة صفين سنة (37هـ/ 657م)[3].

وتكمن خطورتها في انشقاق صفوف علي بن أبي طالب عبر بدايات الخوارج، الذين نشأوا في خضم الصراع على الحكم، لا سيما على اثر الفتنة الكبرى، التي كانت سببا في اندلاع الثورة على عثمان واغتياله في(35هـ/656م)، وكان ظهورهم على المسرح السياسي بشكل واضح منذ أن خرجوا على الإمام علي-رضي الله عنه- لأنه رضي بالتحكيم، فكان شعارهم "لا حكم إلا لله"، وقد واصلوا معارضتهم للحكم الأموي الذي أسسه معاوية في(41هـ/661م)[4]، وللحكم العباسي فيما بعد، وبذلك سيكون لهم الدور الرائد في خط المعارضة المستمرة، رغم عبث مشروعهم الذي قاتلوا في سبيل تحقيقه[5].

وعليه فقد عبر الصراع بين "علي" و"معاوية" على إشكالية السلطة والمعارضة، دونما استعداد من صاحب الشرعية لتقديم تنازلات، مما دفع بالأخير إلى مواجهته من خلال مقولة ولاية الدم[6]، وبالتالي ساهمت المعارضة وبشكل كبير في انهيار مشروع "علي" في السلطة، التي لم يمارسها على نحو كامل، ونجح مشروع "معاوية"، الذي انطلقت معه معادلات جديدة في قضية المعارضة في الدولة الإسلامية[7]، فقد أعلن هذا الأخير -الذي يعتبر أول خليفة أموي- أنه يقبل المعارضة ما لم تتحول

---

[1]- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب): **تاريخ اليعقوبي**، تح عبد الأمير مهنا، مج2، ط1، الأعلمي للمطبوعات، بيروت،2010م،ص78.

[2] - هواري، نفس المرجع، ص288.

[3]- الذهبي، تاريخ الاسلام، ص537 وما بعدها.

[4]- دغفوس (راضي): **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م، ص264.

[5]- هوراي، المرجع السابق، ص13.

[6] - نفسه، ص531.

[7]- نفسه، ص 247.

إلى مواجهة، ويظهر ذلك من خلال قوله: "إنا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا"[1].

ومن المواقف التي تدل على قبول معاوية للمعارضة ما ذكره عبد العزيز البدري حيث قال معاوية: "اسمعوا وأطيعوا، فقال أبو مسلم الخولاني[2]: لا سمع ولا طاعة يا معاوية، كيف تمنع العطاء وإنه ليس من كدّك ولا من كدّ أبيك ولا من كدّ أمك؟ فغضب معاوية، ونزل عن المنبر وغاب ساعة، ورجع فقال: اغتسلت من الغضب وصدق أبو مسلم"[3].

وأيضا من المواقف التي تدل على المعارضة، ما ذكره ابن تيمية عندما دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية "فقال: السلام عليك أيها الأجير! فقالوا: قل السلام عليك أيها الأمير، فقال السلام عليك أيها الأجير، فكرروا وكرر، فقال معاوية: دعوا أبا مسلم فإنه أعلم بما يقول[4]"، وبالتالي فإن سياسة معاوية في قبول المعارضة، كان بهدف امتصاص غضب الخارجين عليه بالسلاح، وانضوائهم تحت لواء الدولة الأموية، لكنها حينما أصبحت جماعية يقودها من يحتلون مكانة في قلوب الناس، وصاروا أقطابا يلتفت الناس حولهم، بدأ تخوف الأمويين من استفحال المعارضة إلى معارضة مسلحة، وأولهم معاوية الذي انتقل إلى المحاسبة والضغط[5].

لكن الدهاء والحكمة الذي كان ضابطا لسياسة معاوية، وهو القائل "لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، إن شدّوها أرخيتها، وإن رخوها شددتها"، لم يستفد منها ولده في ضبط الأمور السياسية، بل ذهب إلى استخدام القوة وبصورة مفرطة، وظهر ذلك في مأساة كربلاء[6]، التي قسمت

---

[1]-العموش، المرجع السابق، ص248.

[2]- **أبو مسلم الخولاني**: هو الدراني، سيد التابعين وزاهد العصر اسمه علي الأصح عبد الله بن ثوب، قدم من اليمن، وقد أسلم في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، دخل المدينة في خلافة الصديق، روى عنه أبو إدريس الخولاني، انظر، الذهبي: **سيرة أعلام النبلاء**، ج4، ص ص7-8 .

[3]- البدري (عبد العزيز): **الإسلام بين العلماء والحكماء**، د ط، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د ت، ص ص72-73.

[4]- ابن تيمية، الحسبة، ص14.

[5]- العموش، نفس المرجع، ص249.

[6]- **كربلاء**: هي الموضع الذي قتل فيه الحسين ابن علي-رضي الله عنه- في طريق البرية عند الكوفة. انظر: الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت): **معجم البلدان** ، مج4، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص445 .

الأمة منذ عصرئذ، فالذين درسوا واطّلعوا على ما وقع في كربلاء-من معارضي بني أمية-لا يجد إلا إدانة لحكم بني أمية، ولقتلة حفيد -النبي صلى الله وسلم- على الرغم من أن السلطة الأموية كان بإمكانها اعتقاله هو ومن معه -في عدد محدود من الرجال والنساء والأطفال- أو إجبارهم على العودة إلى الجهة التي جاءوا منها، وكان هذا مطلب الحسين رحمة الله، بعد أن غدر به من دعوه للمجيء[1].

وهو ما حذره منه الناس وأشاروا عليه بعدم الخروج إلى العراق، وذكّروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم، ومن بين الذين حذّروه ابن عباس[2] الذي قال: "ولا آمن عليك أن يستنفر إليك الناس، فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك"[3]، وأيضا الفرزدق[4] هو الآخر قال له: "قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية"[5]، وقد قالها الحسين بنفسه: "خذلتنا شيعتنا"، ولكن قوله هذا كان بعد أن أصّر على السير إلى العراق، وأحاطت به الجيوش في كربلاء أين قتل[6].

وهنا ظهرت معارضة جديدة وبشكل آخر والمتمثلة في معارضة آل البيت -الشيعة[7]- الناقمين على الحكم الأموي، والذين لم يعترفوا قط بخلافة الأمويين، ولم يغفروا لهم على ما جنوه على

---

[1]- ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ت774هـ): **البداية والنهاية**، تح، عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج11، ط1، دار هجر، د.م.ن، 1998م، ص ص473-479.

[2]- **ابن عباس**: هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي رسول وله ثلاث عشرة سنة، كان فقيها أخذ عنه الفقه جماعة منهم عطاء بن أبي رباح، مات بالطائف في فتنة ابن الزبير، بلغ سبعين سنة، أنظر، الشيرازي (أبو إسحاق الشافعي ت 476هـ): **طبقات الفقهاء**، تح، إحسان عباس، د ط، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ص ص 48-49، ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح، إحسان عباس، مج3، د ط، دار صادر، بيروت، د ت، ص ص 63-64.

[3]- ابن كثير، نفس المصدر، ج11، ص ص494-495.

[4]- **الفرزدق**: هو همام بن غالب، انظر، الزركلي (خير الدين): **الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج5، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص 142.

[5]- ابن كثير، نفس المصدر، ص 510.

[6]- الزركلي، نفس المصدر، ج2، ص 243

[7]- **الشيعة**: هم الذين شايعوا علي رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، انظر. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت548هـ): **الملل والنحل**، تح، أمير علي مهنا وآخرون، ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ص ص 169-170.

الحسين بن علي-رضي الله عنه-عندما قتلوه، فكان إخلاصهم وتعلقهم لآل البيت، عاملا لكسب العطف العام، فمال إليهم الكثير من الناقمين على الوضع الاجتماعي والاقتصادي، الذي ساد في حكم الأمويين[1].

وبذلك كان استشهاد الحسين عام (61هـ/681م) يوم عاشوراء، شعلة أخرى تضاف إلى سلسلة المؤاخذات والاعتراضات على الحكم الأموي، لتأتي مأساة أخرى للأمويين، عندما هاجموا الكعبة للتخلص من حركة عبد الله بن الزبير، الذي اعتصم في معارضته بالكعبة المشرفة وبيت الله الحرام، ظنا منه أنهم لن يُقدموا على اقتحامها، لكن ظنه لم يكن في محله، لأنه حصر نفسه في المسجد، مما يعني أنه ضرب الحصار على نفسه، معتمدا على سوء تقديره لبطش الأمويين، الذين كانوا يجدون كأي سلطة في التاريخ من يسوغ لها ما تفعل، أو يسكت من أصحاب الفتاوى[2].

ورغم المآسي التي وقعت، فقد استمرت حركة الخروج التي لم يقابلها الأمويون باللين والرفق ومحاولة الاستيعاب، بل جهزوا لها الجيوش وحركوا الجموع، ومن بين الذين خرجوا على الأمويين المختار أبي عبيد الثقفي[3]، لكنهم تمكنوا من إخماد هذه الثورة بعد أن قتل زعيمها عام 67هـ/687م[4].

رغم كثرة الخارجين والثائرين على الأمويين إلا أنهم فشلوا في تحقيق مسعاهم، لكن هذا لم يمنع **حركة العباسيين** من الاستفادة من الدروس واستمرار الإعداد، حيث جعلوا الحميمة في جنوب الأردن مقرا لدعوتهم، وكانت ثورتهم هي الوحيدة التي أسقطت دولة الأمويين، فكان خروجهم عام

---

[1]- محمود عكاشة: **تاريخ الحكم في الإسلام دراسة في مفهوم الحكم وتطوره**، ط1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2002م، ص268.

[2]- العموش، المرجع السابق، ص 250.

[3]- **المختار أبي عبيد الثقفي**: (1-67هـ/622-687م) المختار أبي عبيد بن مسعود الثقفي أبو إسحاق، من زعماء الثائرين علي بني أمية، وأحد شجعان الأفذاذ. من أهل الطائف، انتقل إلى المدينة في زمن عمر، وسكن بالبصرة والكوفة غير أنه كان همه منذ دخول الكوفة أن يقتل من قاتلوا الحسين. أنظر: الزركلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 192.

[4]- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني ت630هـ): **الكامل في التاريخ**، تح محمد يوسف الدقاق، مج4، ط1، دار الكتب الغلمية، بيروت، 1987م، ص72.

(132هـ/753م) في معركة الزاب[1]، بعد أن عكف بنو العباس طوال مرحلة دعوتهم إلى استمالة كل العناصر الرافضة للحكم الأموي، لأن انتقال الأمر لهم لا يتم إلا بعد حشد كافة القوى المعارضة[2].

لكن هذا لا يعني أن المعارضة توقفت عند هذا الحد، بل ازدادت وتطورت باعتلاء العباسين سدة الحكم في الدولة الإسلامية، ففي هذه المرحلة عرفت المعارضة تطورا كبيرا، بحيث أصبحت أكثر تنظيما مما سبق، وظهرت بأشكالها المختلفة، فعلى الرغم ما امتاز به الخلفاء العباسيون الأوائل من القوة والمهارة في بناء الدولة الجديدة[3]، إلا أن ذلك لم يعصم نظامهم من المعارضة، التي شملت كل العناصر المنضوية تحت لواء دولتهم: العرب، الموالي، المذاهب الدينية كالخوارج والشيعة، اللذين ظلا بارزين على مسرح الأحداث، لأنهما قاما بحركات ثورية من أجل الوصول إلى السلطة، كل حسب مبادئه ومعتقداته في الحكم، إلاّ أن هذه الثورات باءت بالفشل نظرا لليقظة التي تميز بها الخلفاء العباسيون تجاهها، كما أن آرائهما المتطرفة جعلهما يفقدان تعاطف المسلمين لهما[4].

وعليه فإن حركات المعارضة التي نشطت أيام دولة بني أمية وصلت –في بلاد المغرب والأندلس–إلى تأسيس كيانات سياسية مستقلة لها في عهد بني العباس، مثلما حدث مع الدولة الأموية بالأندلس التي تمّ إحياؤها بزعامة عبد الرحمان الداخل عام (138هـ/758م)، والتي كانت موازية لدولة بني العباس في الشرق، كما نجح تيار التشيع في إقامة دولتهم مرتين، الأولى زمن الأدارسة وكان ذلك سنة(172هـ/792م)، والثانية زمن الفاطميين، حينما أقاموا دولتهم ببلاد المغرب سنة (296هـ/909م)، لكن بنزوح الفاطميين إلى مصر تمزقت بلاد المغرب نتيجة قيام دويلات متصارعة، وهذه النزعة وجدت أصداءها في بلاد الأندلس أيضا، حيث تأسست عدة كيانات صغرى

---

[1]– **معركة الزاب**: هي معركة دارت بين الأمويين والعباسيين، انتهت بهزيمة الجيش الأموي في 132هـ/750م، وإعلان بني العباس قيام دولتهم، انظر، المسعودي (أبو الحسن بن على ت346هـ): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تح كمال حسن مرعي، ج3، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ص205.

[2]– لويس برنارد: **الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**، تر، محمد العرب موسى، مكتبه مدبولي، القاهرة، 2006م، ص43.

[3]– حامد زيان غانم: **صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك**، د.ط، الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978م، ص09.

[4]– البيلي (محمد بركات): **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، د ط، د م ن، القاهرة، 2004م، ص 61

متطاحنة في عصر ملوك الطوائف[1]، وفي هذه الأجواء والظروف كانت البدايات الأولى لقيام دولة المرابطين.

وفي الأخير نستنتج أن المعارضة هي كل من عارض السلطة الحاكمة، سواء كان باللسان أو بالقلم أو بالسلاح، وبالتالي فهي نوعين: معارضة سلمية ومعارضة مسلحة، وقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية يدور معناها حول المعارضة، بحيث أنها لم تنص عليها كلفظ ولكنها تناولتها كموضوع، باعتبار أن المحور الأساسي الذي تقوم عليه المعارضة في الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا إن دل فإنه يدل على أن المعارضة كانت موجودة قبل العهد المرابطي، بل كانت حتى في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم-كما سبق الذكر-ولكنها كانت فردية باعتبار أن البدايات الأولى لظهور المعارضة، كانت في عهد الخلفاء الراشدين خاصة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، لتظهر بشكل جدي في عهد الدولة الأموية بمختلف أشكالها، ففي البداية كانت ظاهرة ثم بدأت تعمل في الخفاء نظرا للضغط الذي مورس عليها من قبل الأمويين.

أما في العصر العباسي فقد تطورت المعارضة بشكل كبير، حيث تمكنت بعض الحركات المناوئة للسلطة العباسية كالشيعة والخوارج من الوصول إلى مسعاها في تأسيس كيانات سياسية لها، خاصة في بلاد المغرب الإسلامي، الذي شهد بفضل هذه الحركات قيام عدة دول، كالدولة الرستمية الاباضية، والمدرارية الصفرية، وأيضا دولة الادارسة، والدولة الفاطمية.

وعلى ضوء هذا يمكن القول أن عنصر المعارضة وظاهرة القيام ضد السلطان كانت موجودة حتى في الزمن الأول، وبقيت مستمرة فيما بعد، وهو ما وجدناه عند الاطلاع على تاريخ الدولة المرابطية وما بعدها، فما هي مظاهر المعارضة بكل أشكالها في عهد المرابطين؟ وما موقف السلطة المرابطية منها؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه في موضعه من الدراسة، لكن قبل ذلك سنحاول التعريف على هذه الدولة من حيث النشأة والتأسيس والتوسع.

[1]- محمود إسماعيل عبد الرزاق: **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الانهيار الرابع**، ط1، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005م، ص155.

2) المرابطون وأثرهم في بلاد المغرب الإسلامي:

ما يلاحظ على قيام الدول ببلاد المغرب عموما، هو اعتمادها على ثلاثة أسس بارزة شكلت معادلة لا مفر منها لقيامها، فمنذ نهاية عصر الولاية ببلاد المغرب، كان قيام هذه الدويلات على أساس الزعيم والقبيلة، التي تشكل عيشها وقوتها، والمذهب الفقهي والعقدي الذي يمثل عصبتها الرئيسية، فمثلا قيام الدولة الرستمية، كان على يد زعيمها عبد الرحمن بن رستم، صاحب التوجه الإباضي، وكانت قبيلة نفوسة من أعرق القبائل، التي التفت حولها بقية القبائل الأخرى، كما أن قيام دولة الأدارسة كان بفضل زعيمها –إدريس الشريف الفار من العباسيين– الذي تمكن من تأسيس كيان لها بفاس، على أكتاف قبيلة أوربة معتمدا السنة النبوية.

وعلى هذا السياق قامت دولة المرابطين بزعامة عبد الله بن ياسين وتلميذه يوسف بن تاشفين[1]، معتمدين المذهبية المالكية والعقدية السنية، على أكتاف ثلاثة قبائل أبرزهم جدالة، مسوفة، لمتونة، وهنا نبرز إشكالية الأسس العامة لقيام الدول انطلاقا من الفكرة الخلدونية، مقدمين الدولة المرابطية نموذجا على ذلك. وعليه نطرح التساؤلات التالية: على ما قامت الدولة المرابطية؟ وهل كانت العصبية الصنهاجية دور في إنشائها وقيامها؟ وكيف ساهم اجتماعهم الديني على مذهب واحد في تضاعف قوة عصبيتهم؟ وهل كانت للصبغة الدينية التي امتازت بها دولة المرابطين دور في ذيوع صيتها وتوسعها؟

تعتبر القبيلة أساس النظام الاجتماعي في بلاد المغرب، ونعني بالقبيلة العصبية التي دارت عليها الفلسفة الخلدونية، لذلك كان اهتمامنا بالقبلية والعصبية المؤسسة للدولة المرابطية، مسألة أساسية في

---

[1]– **يوسف بن تاشفين**: (400–500هـ/1009–1106م) المكنى بأبي يعقوب أمير المسلمين، وملك الملثمين، رجلا شجاعا عادلا مقداما، بني مدينة مراكش، تربع بعد أزيد من 20سنة من الجهاد على إمبراطورية شملت المغرب الأقصى، ونصف المغرب الأوسط وإفريقيا الغربية، وفي عهده عرفت المغرب الوحدة الأول مرة في التاريخ بعد أن كانت تتقاسمه طوائف وشيع، بينما سادت في افريقية(المغرب الأدنى) فوضى سياسة وانهيار في الاقتصاد على إثر الغزوات الهلالية، انظر، ابن خلكان، **المصدر السابق**، ص113؛ بلغيث (محمد الأمين): العلاقات الحمادية المرابطية من خلال ديوان الإنشاء، أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس398–1427/1007–2007م، مسيلة، أيام 9 10 11 أفريل 2007م، ص 253.

موضوعنا، باعتبارنا نسعى إلى فك إشكالية علاقة قبائل اللثام الصحراوية بالإسلام في القرن (5هـ/11م)، وعليه تعتبر قبائل صنهاجة الجنوب القاعدة الصلبة للدعوة والدولة المرابطية[1]، خاصة إذا علمنا أن قبائل صنهاجة الجنوب التي كانت بين أودغست[2] وسلجماسة[3]، تعتبر من أقوى قبائل البربر، فهي فرع من قبيلة البرانس[4]، وقد انضوت تحت لوائها أكثر من سبعين قبيلة أشهرها "لمتونة، جدالة، مسوفة"[5] وهم صحراويون[6]، يُعرفون بالملثمين لأنهم كانوا يتلثمون ولا يكشفون عن وجوههم[7]، فاتخذوا اللثام شعارا تمييزا لهم عن سائر قبائل بلاد المغرب[8].

وقد اختلفت الروايات في سبب اتخاذهم اللثام، فمثلا ابن حوقل يذكر أن هؤلاء القوم يزعمون أن الفم سوءة تستحق الستر كالعورة، في حين نجد ابن الأثير يذكر رواية مخالفة، وهي أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدولهم، فخالفهم إلى مواطنهم وهي خالية، إلا من النساء والأطفال والشيوخ، الذين أمروا النساء بأن يرتدين لباس الحرب ويتلثمن ويستدرن على الديار وكانوا جمعا عظيما، ففر الأعداء ظنا منهم رجال، وهذا يعني أن لقب الملثمين في بداية الأمر، كان يطلق على

---

[1]- بلغيث (محمد الأمين): **الحياة الفكرية بالأندلس** 479 -539هـ/1085-1144م)، إشراف عبد الحميد حاجيات، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006م، ص 38.

[2] – **أدوغست**: هي مدينة بين صحراء لمتونة والسودان ولها مكانة اقتصادية من خلال الذهب والملح، انظر، البكري (أبي عبيد ت.487هـ): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، د ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص17o.

[3]– **سجلماسة**: هي مدينة أقصى الجنوب الغربي على أطراف الصحراء. انظر: الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت): معجم البلدان، مج3، دط، دار صادر، بيروت، دت، ص451.

[4]– عبد النبي(محمد): **مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقية والأندلس**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا، جامعة الملك عبد العزيز، بمكة المكرمة، 1979م، ص 07.

[5]- انظر: الملحق رقم 01.

[6]– ابن الخطيب (لسان الدين): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال**، تح، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، د ط، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م، ص225.

[7]– ابن خلكان، المصدر السابق، ص129.

[8]– دندش (عصمت عبد اللطيف): **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430–515هـ/1038-1121م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م،29.

لمتونة، ثم توسع إلى سائر قبائل صنهاجة الجنوب، خاصة بعد أن تزعمت هذه الأخيرة الحلف الصنهاجي، أما ابن خلكان فيذكر أن اللثام سنة متوارثة عن الأجداد وسبب ذلك شدة الحر والبرد[1].

كما اختلفت الروايات في أصل الملثمين فبعضها تُرجع أن أصلهم من حمير، يقول ابن خلكان: "والذي وجدته أن هؤلاء القوم من حمير بن سبأ"[2]، أي أن أصلهم يمنيون، والبعض الآخر يذهب إلى أنهم بربر لا علاقة لهم بالعرب[3]، أما الإسلام فقد عرفوه في منتصف القرن الأول للهجرة، لكن دخولهم فيه كان بطيئا، حيث بدأ في عهد عقبة بن نافع[4]، وازداد عددهم في عهد الأدارسة[5]، هذه الأخيرة لعبت دورا كبيرا في نشر الإسلام، خاصة وأنها عملت على توحيد المغرب الأقصى، فتجاوز نفوذهم إلى الصحراء الكبرى أين ديار صنهاجة الجنوب، وبذلك انضوى الملثمون تحت لوائها، فزاد تحولهم إلى الإسلام، لينتشر بينهم في القرن 3هـ[6].

وكان لإسلام الملثمين أثر بالغ في تاريخ بلاد المغرب، حيث نتج عنه قيام تحالف قوي توحدت من خلاله كلمة صنهاجة الجنوب، التي عاشت حالة صراع وتشتت مع الضغوط الآتية من الشمال من قبائل الزناتة والمصامدة، والضغط من الجنوب من ممالك السودان الغربي، ومن هذا الضغط تشكل

---

[1]- ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): **صورة الأرض**، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص99؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج8، ص330؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، ص129.

[2]- ابن خلكان، نفس المصدر، ص128.

[3]- الصلابي(علي محمد): **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص09.

[4]- **عقبة بن نافع**: تولى إمارة جيش افريقية مرتين الأولى من سنة 50هـ إلى 55هـ/670-674م، والثانية من 60-64هـ/679-683م، اشتهر بتأسيسه لمدينة القيروان كقاعدة عسكرية، وأيضا بحملته الكبرى التي وصل فيها إلى المحيط الأطلنطي في أقصى المغرب، انظر: ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي**، حاشية2، ص 2.

[5]- **الادارسة**: نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن على بن أبي طالب، لحق بالمغرب سنة 172هـ/788م، نزل على قبيلة أوربة من بربر البرانس، الذين التفُّوا حوله وبايعه، فأسس هذه الدولة وسمية نسبة إليه (الادارسة)، انظر: البكري، المصدر السابق، ص 122؛ ابن الخطيب، نفس المصدر، ص ص190-194.

[6]- دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام**، ص ص36-42.

حلف من قبائل "لمتونة، جدالة، ومسوفة"، التي عملت على نشر الإسلام بين القبائل الوثنية خاصة في بلاد السودان[1]، وبذلك تحولت تلك القبائل البدوية إلى شعب صاحب رسالة حضارية[2].

أما عن استقرار الرئاسة في قبائل الملثمين-كما سبق الذكر- كانت في قبيلة لمتونة، ثم آلت إلى قبيلة جدالة، على عهد أميرها يحي بن إبراهيم الجدالي الذي تولى زعامة صنهاجة[3]، وهذا الأخير خرج من ديار الملثمين لأداء فريضة الحج تاركا الحكم لابنه إبراهيم[4]، واختلف المؤرخون في سنة خروجه، يذكر النويري أنه خرج في 445هـ[5]، أما القلقشندي يُرجع سنة خروجه إلى 440هـ[6]، في حين يذكر البعض الآخر أن خروجه كان في 427هـ أو 429هـ[7]، وهذه الأخيرة هي الرواية الأقرب للحقيقة لأن يحي بن إبراهيم تتلمذ على يد أبي عمران الفاسي، الذي توفي سنة (430هـ/1037م[8]).

---

[1]- ابن خلدون (عبدا لرحمان ت.808هـ): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، ج6، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م، ص371.

[2]- بلغيث، المرجع السابق، ص 55.

[3]- حمدي (عبد المنعم محمد حسين): **التاريخ السياسي والحضاري بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين**، د ط، دار المعرفة الجامعية، د.م.ن، 1997م، ص37.

[4]- ابن أبي دينار (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني): **المؤنس في إخبار افريقية وتونس**، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها، 1682م، ص 101.

[5]- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت.733هـ): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح، عبد الحميد ترحيني، ج24، دط، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص143.

[6]- القلقشندي (أبو العباس أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج4، د ط، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ص189.

[7]- ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، د ط، صور للطباعة، الرباط، 1972م، ص122.

[8]- **أبو عمران الفاسي**: هو موسى بن عيسى بن أبي حاج البربري الغفجومي نسبة إلى عفجوم بطن من بطون الزناتة بالمغرب وهو شيخ المالكية بالقيروان، دخل الأندلس وأخذ عن مشايخها من بينهم عبد الوارث بن سفيان، وأخذ علم الكلام ببغداد ابن الباقلاني، وكان إمام في القراءات، بصير في الحديث، توفي وعمره 62 سنة. انظر: ابن العماد (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، مج5، تح محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1989م، ص153.

وفي طريق العودة مر يحي بن إبراهيم الجدالي على مدينة القيروان، وهناك التقى بالفقيه أبي عمران الفاسي، الذي سأله عن بلده، وما ينتحلونه من مذاهب، فكان جوابه، أن لا مذهب لهم، لأنهم في الصحراء منقطعين، فطلب من الفقيه أن يرسل معه من يعلمهم الدين، فعرض الفقيه هذا الأمر على طلبته فلم يجد من يذهب معه، بحجة مشقة السفر البعيد والانقطاع في الصحراء[1]، فأرسل أبي عمران يحي بن ابراهيم ومعه كتابا[2]، إلى فقيه بربري يقال له وجاج بن زللو اللمطي[3] فقيه المالكية بالسوس الأقصى، الذي انتدب له أحذق تلاميذه وهو عبد الله بن ياسين، الذي وصفه ابن أبي الزرع بأنه من أهل الفطنة والدين والتقوى والورع والعفة والسياسة[4]، وحسب بعض المؤرخين ينسب ابن ياسين إلى قبيلة جزولة[5].

وهكذا كان دخول عبد الله بن ياسين إلى الصحراء، أي إلى قبيلة جدالة برفقة يحي بن إبراهيم، حيث بدأ مهمته، وبما أنه رجل ذكي متحمس واسع الآمال لم يقتصر على تعليمهم شرائع الدين[6] فحسب، بل عمل على جمع شمل القبائل المتنافرة على أسس الدين الصحيح، لكن رغم تمكن ابن ياسين من كسب ثقة الملثمين، إلا أن هناك من عارضه، وهذه المعارضة لم تكن من قبل المستضعفين من العامة، وإنما انبعثت من صفوف الزعماء، لأنه كان ينشر المساواة بين الموالي والسادة، فاضطرته هذه المعارضة إلى الخروج من ديارهم بعد أن يأس من إصلاح حالهم[7].

---

[1]- ابن عذاري (المراكشي): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح، إحسان عباس، ج4، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص ص 07-08.

[2]- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 123؛ انظر إلى الملحق رقم 03.

[3]- **وجاج بن زللو**: من تلاميذ أبي عمران، وكان قد رحل إلى القيروان، وأخذ العلم عنه، ثم عاد إلى السوس فبني دارا لطلبة العلم وقرأ القرآن ، انظر، مجهول: **مفاخر البربر**، تح، عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقاق، الرباط، 2005م، ص 165.

[4] - ابن أبي زرع، نفس المصدر ، ص 124.

[5] - البكري، المصدر السابق، ص 165.

[6]- المراكشي (عبد الواحد): **وثائق المرابطين والموحدين**، تح، حسين مؤنس،ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997م، ص13.

[7] - دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام**، ص65.

وقد اختلفت الروايات في الوجهة التي أراد أن يقصدها ابن ياسين، غير أن يحي بن إبراهيم[1] اصطحبه إلى الجنوب أين بنى رباطه، وكلمة **رباط** تعني ملازمة ثغر العدو، فمن أهم صفاته الجهاد في سبيل الله[2]، وفي قوله تعالى توضيح لهذا المعنى: **"يَاأَيُّهَا اَلْذِيْنَ ءَامَنُواْ اِصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اَللهَ لَعَّلكُمْ تُفْلِحُونَ"**[3]، وقد فسر الإمام الطرطوشي كلمة الرباط في الآية بقوله: "ورابطوا فيه قولان قيل رابطوا على الجهاد وقيل رابطوا على انتظام الصلوات"[4]، و ما يوضح أيضا معنى الرباط قوله صلى الله عليه وسلم: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أفضل؟ فقال مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله عزوجل في الشعاب يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة"[5]، وهنا يتضح لنا أن الدولة المرابطية أهم ما ارتكزت عليه في نشأتها وقيامها هو الدين، فباسمه رسخت قواعدها في الملك نتيجة للحركة الدعوية الإصلاحية الجهادية التي قام بها عبد الله بن ياسين كما سيأتي توضيحه في موضعه.

لكن رغم ذلك تبقى الظروف التي أنشئ من أجلها الرباط غير واضحة، نظرا لاختلاف الروايات، كما اختلفت هذه الأخيرة في تحديد الموضع الذي بني فيه، يذكر ابن خلدون أن موضع هذا الرباط كان على جزيرة في مصب بحر النيل[6]، وفسر فريق من المؤرخين ما قصده ابن خلدون من بحر النيل أنه نهر السنغال[7]، وهناك اعزل ابن ياسين وخلا بصاحبه يحي بن إبراهيم، حتى سمع الناس بمعيشتهم وتقواهم، فانضموا إلى دعوتهم عن رضا وقناعة، فبث فيهم الورع والخشوع[8].

---

[1] –ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص125.

[2] – دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام**، ص69.

[3] – سورة **آل عمران**، الآية 200.

[4]– الطرطوشي(أبو بكر محمد بن الوليد الفهري ت.520هـ): **سراج الملوك**، تح. محمد فتحي أبو بكر، مج1، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م، ص ص 391-392.

[5]– المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تح، بشير البكوس ومحمد العروسي المطوي، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ص 301.

[6]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص243.

[7]– محمود (حسن أحمد): **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د ت، ص126.

[8]– بلغيث، المرجع السابق، ص ص57-58.

وقد بلغ عددهم حسب صاحب الحلل الموشية إلى حوالي سبعين رجل[1]، وهناك من يذكر أن عددهم وصل إلى حوالي ألف رجل[2]، فدعاهم ابن ياسين إلى الجهاد في سبيل الله، وسماهم بالمرابطين[3] قائلا: "اخرجوا فانتم المرابطون"، وهنا تظهر شخصية ابن ياسين كزعيم وقائد عسكري[4]، من خلال تكوينه وتنظيمه للجيش المرابطي، الذي لم يلبث أن بلغ عدده حوالي ثلاثين ألف، بعد انضمام أعداد غفيرة من اللمتونين والجداليين وغيرهم من الصنهاجيين، وبذلك ساهم اجتماعهم الديني-على مذهب واحد وهو المذهب المالكي-الذي عمل ابن ياسين على نشره بين الملثمين- في تضاعف قوة عصبيتهم، وبتوحيد القبائل (لمتونة، جدالة، مسوفة، لمطة) انتهت المرحلة الأولى الصحراوية بتأسيس الدولة والانطلاق صوب الشمال[5].

وبهذه القوة تمكن المرابطون بقيادة يحي بن عمر اللمتوني -خليفة يحي بن إبراهيم الجدالي، وبتوجيه زعيمهم الروحي ابن ياسين- من فتح سجلماسة ودرعة[6]، التي كانت تحت طاعة الزناتة المغرواين في (446هـ/1055م)[7]، أما في سنة(447هـ/1056م) صوّب المرابطون أعينهم نحو مملكة غانة لاسترجاع ادوغست، فخاضوا معها معركة قاسية استشهد خلالها يحي بن عمر اللمتوني[8].

وبوفاة هذا الأخير اختار ابن ياسين أخاه أبا بكر بن عمر لقيادة المرابطين[9]، والذي فتح بدوره بلاد السوس في 448هـ/1056م، وأثناء الفتح وبالتحديد في معركة الواحات بزغ نجم يوسف بن تاشفين، الذي لعب دور قائد مقدمة جيش المرابطين المهاجم، وبعدها عينه أبو بكر واليا على

---

[1]- ابن الخطيب، **الحلل الموشية في أخبار المراكشية**، ط1، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، د ت، ص09.

[2]- حمدي، المرجع السابق، ص 41.

[3]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 125.

[4]- المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، ص 16.

[5]- البكري، المصدر السابق، ص168؛ المراكشي، **وثائق المرابطين والموحدين**، ص16؛ ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ص198؛ بلغيث، المرجع السابق، ص 58.

[6]- **درعة**: هي مدينة صغيرة تقع في جنوب بلاد المغرب. انظر: الحموي، المصدر السابق، مج2، ص451.

[7]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص13.

[8]- ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص128.

[9]- محمود، المرجع السابق، ص 145.

سجلماسة، فأظهر مهارته الإدارية في تنظيمها، ثم تمكن أبو بكر من فتح بلاد جزولة وماسة، وبعدها سار إلى تارودانت مركز الشيعة الرافضة وتمكن من فتحها فحل مذهب السنة والجماعة في مكانها[1].

ومنذ (449هـ/ 1059م) أصبح المرابطون سادة الجنوب دون منازع، حيث اتجهت قواتهم نحو أغمات[2] وتادلا[3] البتريتين، وفي الجهة الغربية كانت المعركة الفاصلة بين المرابطين وإمارة برغواطة[4] التي ساد فيها الانحراف العقائدي، وعلى إثرها استشهد ابن ياسين 551هـ/1061م، فبويع أبو بكر مكانه، وبذلك جمع بين الزعامة الدينية والسياسية[5]، وخلال استقراره بأغمات التي ضاقت بساكنها فكر في بناء حاضرة جديدة وهي مراكش في (462هـ/1070م)[6]، وأشارت بعض المصادر أنه لما شرع يحي بن عمر في بنائها، جاءته أخبار الفتنة التي وقعت بين جدالة ولمتونة، فغادرها سريعا، واستخلف ابن عمه يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب، كما أنه تخلى له عن زوجته زينب النفزاوية، التي مدحتها الكتب لحنكتها السياسية وذكائها[7].

واستمر المرابطون في التوسع في بلاد المغرب حيث بسطوا نفوذهم على فاس في (474هـ/1082م)، كما دخلوا طنجة، مكناس، وهران، تنس والجزائر، تحت سلطانهم، وبذلك

---

[1]- الصلابي (علي محمد): **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م، ص61.

[2]- **أغمات**: هي ناحية في بلاد البربر بالمغرب قرب مراكش وهي مدينتان متقابلتان للمصامدة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ص 225.

[3]- **تادلا**: هي من بلاد المغرب وهي مدينة قديمة أحاطت بها القبائل من جميع الجهات. انظر: الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح، إحسان عباس، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، د ت، ص127.

[4]- **برغواطة:** تأسست في القرن (2هـ/8م) في تامسنا، أشهر حكامها صالح بن طريف البرغواطي الذي أدعى النبوة. **انظر**: ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص 130.

[5]- نفسه، ص ص 132-133.

[6]- ابن عذاري، المصدر السابق، ص201.

[7]- بوتشيش(إبراهيم القادري): **المغرب والأندلس في عصر المرابطين(المجتمع-الذهنيات- الأولياء)**، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1993م، ص49.

وصل نفوذهم إلى حدود الدولة الحمادية[1]، وهكذا أصبح المرابطون -بزعامة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين- سادة المغرب دون منازع، وكان دستورهم في الحكم كتاب الله وسنة رسوله[2].

ولما بلغت الدولة المرابطية في بلاد المغرب أوج توسعها، كان الإسلام في الأندلس قد وصل إلى درجة الاضمحلال، لأن ملوك الطوائف تقاسموا رقعة الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ/1031م، ومع مرور الوقت أصبحت هذه الملوك تحت رحمة ملك قشتالة[3]، الذي تمكن من التوسع في الأندلس على حساب أراضي المسلمين، وبعدها أجمع ملوك الطوائف -على رأسهم ابن عباد ملك اشبيلية- الاستنجاد بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين لنصرتهم، فكاتبه أهل الأندلس وعلى رأسهم ملك إشبيلية ابن عباد[4]، وبذلك تحمل المرابطون مسؤولية حماية الإسلام بالأندلس[5].

وقد تمكن المرابطون من الانتصار على النصارى في موقعة الزلاقة[6] عام (479هـ/1086م)، أي بعد عام من سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة (478هـ/1085) ، وبعد هذا الانتصار حدث تحول في مجرى تاريخ الغرب الإسلامي كله، فقد توقف تيار الغزو النصراني، واستعادت القوات المرابطية العديد من الأقاليم التي فقدها المسلمون[7]، وأهم ما قام به يوسف بن تاشفين هو خلع ملوك الطوائف عن إمارتهم، وقد عزز موقفه حيال هذا الأمر من ناحيتين: الأولى

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 142-143.

[2]- الفقي (عصام الدين عبد الرؤوف): **تاريخ المغرب والأندلس**، د ط، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د ت، ص 251.

[3]- المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، ص31. انظر: الملحق رقم2(خريطة) حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1987م، ص 165.

[4]- سعدون عباس نصر الله: **دولة المرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م، ص ص 70-71؛ انظر: الملحق رقم 04.

[5]- بلغيث: المرجع السابق، ص 63.

[6]- **زلاقة**: هي معركة شهيرة بين الجيوش الإسلامية بقيادة يوسف بن تاشفين والجيش النصراني تحت قيادة الفونس والسادس دارت هذه المعركة في المعركة في سهل من عمل بطليوس يقال الزلاقة يوم الجمعة 479هـ. انظر: المراكشي، نفس المصدر، ص 195.

[7]- مؤنس(حسين): **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 516هـ/1118م**، من أربع وثائق جديدة، د ط، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1992، ص05.

الحصول على فتاوى فقهاء المشرق الإسلامي وفي مقدمتهم الغزالي[1]، أما الثانية فهي الحصول على تأييد فقهاء المغرب والأندلس وعامة الناس، الذين أكثروا من شكاويهم إليه بعد عبوره الثاني، لأن ملوك الطوائف لم يلتزموا بما عاهدوا يوسف بن تاشفين عليه كإسقاط الضرائب على الأندلسيين، بل ذهبوا إلى أكثر من ذلك فقد تحالفوا مع الملك ألفونس ضد يوسف بن تاشفين، الأمر الذي جعل هذا الأخير يعود إلى الأندلس لكي لا يبقى أحدا منهم على عرشه[2].

وبذلك قضى يوسف بن تاشفين على ملوك الطوائف، باستثناء المستعين بن هود صاحب سرقسطة[3]، الذي سارع للاتصال بيوسف بن تاشفين، وكتب إليه رسالة خضوع لاستلام له[4]، وهكذا تمكن ابن تاشفين ضم القسم الأكبر من الأندلس إلى ممتلكاته[5]، وبالتالي هذه هي أهم توسعات دولة المرابطين[6].

وعلى الرغم من أن المرابطين يعتبرون دخلاء على المجتمع الأندلسي إلا أن مكانتهم كانت كبيرة في قلوب الأندلسيين، لأنهم رأوا فيهم المنقض الوحيد لهم من ملوك الطوائف، لكن هل بقيت نظرة الاحترام والتقدير للمرابطين طيلة فترة حكمهم؟ أم تغيرت بمرور الزمن؟

---

[1]- **الغزالي**: هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، ولد سنة 450هـ، بالطابران، الملقب حجة الإسلام، زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، اشتغل في أمره بطوس، وسلك في طريق الزهد والانقطاع. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ص217.

[2]- السامرائي وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1، دار أويا، بيروت، 2000م، ص 257.

[3]- **سرقسطة**: هي مدينة مشهورة بالأندلس اسمها مشتق من اسم قصير أوغسطوس، وهو الذي بناها وجعل لها أربعة أبواب، وهي أطيب بقعة، ذات فواكه غنية لها فضل على سائر فواكه الأندلس. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 212.

[4]- "نحن بينكم وبين العدو سد لا يصل إليه ضرر، ومطاعين قطوف، وقد قنعت بمسالمتكم، فاقنعوا منا بها إلى ما نعينكم من فيس الذكر". نص الرسالة من هود إلى يوسف بن تاشفين. انظر: حمدي، المرجع السابق، ص 74.

[5]- ج.س.كولان: **الأندلس**، تر، إبراهيم خورشيد، ط1، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، 1980م، ص 133.

[6]- انظر: الملحق رقم 03.

المبحث الثاني:

المعارضة السلمية لسلطة المرابطين

1/معارضة بعض الفقهاء

2/معارضة بعض المتصوفة

3/معارضة ابن تومرت السلمية

المبحث الثاني: المعارضة السلمية لسلطة المرابطين

ما عُرف على دولة المرابطين منذ قيامها، أنها دولة جهاد وإصلاح، كما سبق الذكر، لكن رغم ذلك تعرضت هذه الأخيرة للعديد من الانتقادات والمعارضات، التي اختلفت باختلاف توجهات أصحابها، وعلى الرغم من أنها لم تصل إلى حد السيف، إلا أنها ساهمت في الإخلال بتوازنها، فما هي أهم هذه المعارضات؟ وما موقف السلطة المرابطية منها؟

1. معارضة بعض الفقهاء:

إن كل الذين تعرضوا إلى العصر المرابطي من أصحاب المصادر القديمة أو البحوث المعاصرة تحدثوا أو أكدوا على العلاقة الموجودة بين الدولة وفقهاء العصر، فهل كان كل الفقهاء واقفين إلى جانب الدولة المرابطية؟ أو بتعبير آخر هل وجدت نظرة موحدة نظر بها الفقهاء إلى دولة المرابطين؟ وهل نجحت هذه الأخيرة في الحصول على ثقة كل الفقهاء، وبالتالي عاملتهم نفس المعاملة؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، سنحاول إلقاء نظرة عامة على أهم التطورات والأحداث التي مرت بها الدولة المرابطية خاصة في بلاد الأندلس، بداية بالتحالف الذي كان بين هذه الدولة وفقهاء العصر، الذي لم يتجل في أوضح صورة له إلا في فترة التوسعات، حيث كانت هيبة الانتصارات من ناحية، وكثرة الغنائم من ناحية أخرى، تسمح للدولة بتطبيق برنامجها الإصلاحي خاصة من النواحي المالية، وهي النواحي ذات التأثير الأكثر على السكان[1].

فاستطاعت على حد قول بعض المصادر أن تكتف أكثر بالضرائب الشرعية، وتخفف كثيراً من المكوس والمغارم، وهذا ما أكده **ابن أبي زرع** حينما قال:"أنه لم يوجد في عهد يوسف بن تاشفين في بلد من بلاده ولا في عمل من أعماله على طوال أيامه رسم مكس، ولا معونة، ولا خراج في حاضرة ولا بادية، إلا ما أمر الله تعالى به وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة، والأعشار وجزية

[1]- بن حمادي عمر: **الفقهاء في عصر المرابطين**، إشراف، محمد الطالبي، شهادة التعمق في البحث(تاريخ وسيط)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،جامعة تونس،1987م، ص 614.

أهل الذمة..."[1]، مما خلف مناخا عاما ومتسامحا، لم يُلَم فيه الفقهاء على تقربهم من سلطة حققت مثل هذه الأعمال، وبالتالي استطاعوا أن يقوموا بالأدوار المطلوبة منهم[2].

وإذا ما وجد من الفقهاء أنفسهم من وقف ضد الدولة المرابطية، فإن عددهم كان قليلا، إذ لم يُعثر سوى على حالة واحدة من هذا النوع، وهو الفقيه **أبو عبد الله محمد بن الفرج** -الآتي ذكره- يقال له **ابن الطلّاع**، وقد ذكر عياض أن هذا الأخير كان متعصبا كثيرا للعباديين ضد المرابطين، وأضاف أن هؤلاء -المرابطون- أسقطوه عن الفتيا عند تمكنهم من الأمر، وكانت وفاته سنة (497هـ/1115م)[3].

وعليه فإن المعلومات التي توردها بعض المصادر -خاصة التراجم منها- عن الفقهاء، هي عبارة عن إشارات تدل أو تشير إلى وجود معارضة لدولة المرابطين من قبل بعضهم، فمثلا المصادر التي تكلّمت عن ابن الطلاع، تتفق على المكانة الهامة، التي يحتلها على المستويين الفقهي والسياسي، فابن الطلاع هو أكبر فقهاء قرطبة في ذلك الحين، مقدما على الشورى، ومعظَّما عند العامة والخاصة[4]، وقد تتلمذ على كبار فقهاء الأندلس ومحدثيها، فكان سنده أعلى ما يوجد في زمانه[5]، وبالتالي هذا الأمر كان له انعكاسات على المستوى السياسي، بحيث أن هذه المواصفات تجعل من صاحبها معارضا أو مؤيدا للسياسة التي تمارسها الدولة في أي ميدان كان[6].

ومن الذين أشاروا إلى وجود معارضة ابن الطلاع للمرابطين، **ابن الأبار** من خلال قوله:"أنه كان مفرطا في العصبية للعباديين"[7]، وبالتالي معارضته -حسب اعتقاد ابن حمادي- كانت في شكل

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 137.

[2]- عمر بن حمادي، المرجع السابق، ص125.

[3]- عياض (بن موسى بن عياض السبتي ت544هـ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح سعيد أحمد أعرب، ج8، دط، المكتبة المغربية، المغرب، 1983م، ص ص180-184.

[4]- ابن بشكوال: الصلة، تح إبراهيم الأبياري، ج3، ط1، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت، 1989م، ص824.

[5]- ابن سعيد: المغرب في حلى المغرب، تح شوقي ضيف، ج1، ط4، دار المعارف، القاهرة، 2009م، ص165.

[6]- ابن حمادي: نفس المرجع، 125.

[7]- ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي): المعجم في أصحب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مطبع روخس، مدينة مجريط، 1885م، ص29.

فتاوى أصدرها ابن الطلاع، ليعارض بها فتاوى الفقهاء العاملين في ركاب المرابطين، وهذا الأمر يقودنا إلى نقطة أخرى، وهي أن معارضة هذا الأخير للمرابطين، أكدت -بطريقة غير مباشرة- أهمية الدور الذي قام به الفقهاء المؤيدون للدولة المرابطية، والتغلب على معارضة هامة ،كالتي مثلها ابن الطلاع[1]. ليبقى السؤال المطروح هنا: هل بقي موقف الفقهاء المؤيد للدولة المرابطية كما هو؟ أم أنه تغير بتغير وتطور الأحداث؟

إن العديد من الأحداث تشير إلى أن المناخ قد تغير، وهذا التغير بدأ في الوقت الذي توقفت فيه الانتصارات من جهة، ومن جهة أخرى أصبح المرابطون يتقبلون الهزائم الثقيلة مع فقدان العديد من المناطق، كفقدانهم لمدينة سرقسطة ومناطقها، بحيث سقطت نهائيا في أيدي المسيحيين سنة(512هـ/1118م)،[2]، وأيضا هزيمة كتندة سنة (514هـ/1120م)[3]، وهي نفس السنة التي شهدت استقرار ابن تومرت-الآتي ذكره في موضعه من الدراسة- بالجبال الأطلسية، لتنطلق ثورته بعد ذلك، فينفتح على المرابطين باب آخر من المشاكل، وبالتالي هذا الوضع كان خطيرا، إذ أن معه انسدّ على المرابطين باب الغنائم، وانفتح باب الخسائر والمصاريف الباهضة، وهو وضع لا يمكن أن لا يؤدي إلى حدوث تغيرات في الدولة[4].

وهذا الوضع المشار إليه كان أكثر وضوحا ببلاد الأندلس، التي ستشهد قضايا وأحداث، كانت سببا-إن لم تكن مباشرة فهي غير مباشة- لمعارضة بعض الفقهاء، كقضية إحراق كتاب "إحياء علوم الدين "للإمام أبو حاد الغزالي الملقب بحجة الإسلام[5]، في (503هـ/1109م)[6] على

---

[1]- ابن حمادي، المرجع السابق، 127.

[2]- مؤنس، **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين**، ص32.

[3]- ابن عذارى، البيان المغرب، ج1، ص308.

[4]- ابن حمادي، نفس المرجع، ص516.

[5]- **الغزالي**: هو ابو حامد محمد بن أحمد الغزالي من مواليد 450هـ، اشتهر اسمه لقيامه بالمناظرات والجدال في عدة مجالس كما أنه كان مدرسا في المدرسة النظامية بمدينة بغداد سنة484هـ، فارتفعت منزلته عند أهل العراق، انظر، ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص ص216-217.

[6]- عنان (محمد عبد الله): **دولة الإسلام بالأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الموحدية**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ص 78.

عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف[1]، وقد أثارت هذه القضية نقمة كبرى على المرابطين خاصة من قبل خصومهم[2]، وهذا ما سنحاول أن نوضحه في موضعه من الدراسة، لكن المهم هنا، كيف أثرت هذه القضية على موقف الفقهاء تجاه السلطة المرابطية؟

الجدير بالذكر، أن الذي أفتى بإحراق كتاب الإحياء هو ابن حمدين وبعض فقهاء قرطبة، غير أن هذه الفتاوى لقيت معارضة من قبل بعض فقهاء المغرب والأندلس، الذين جاهروا بمعارضة هذا القرار والتنديد به[3]، ومن هؤلاء أبو الحسن البرجي (ت509هـ/1115م) من فقهاء ألمرية، وقد كان مشارا في الأحكام آنذاك بهذه المدينة، حيث أصدر فتوى مضادة للفتوى التي أصدرها ابن حمدين، بإفتائه تأديب من يُحرق كتاب الإحياء، وتضمينه قيمته لأنه مال مسلم[4]، وهذا الأمر أغاظ ابن حمدين كثيرا فأمر–وهو قاضي الجماعة بقرطبة– قاضي ألمرية أبا عبد الملك مروان بن عبد الملك ت511هـ، بعزل أبا الحسن البرجي من خطة الشورى[5].

وأيضا من بين المعارضين في قضية الإحراق والقرار الذي طرحه الجهاز المرابطي، هو أبو الفضل النحوي[6]، الذي أصدر فتاوى مضادة، جاء فيها أن الأيمان التي فُرضت في عملية التفتيش عن كتاب الإحياء، أيمان لا تُلزم أحدا بإتباعها[7]، لأن الناس أُجبروا عليها، ليؤكدوا عدم امتلاكهم

1- **علي بن يوسف** (477هـ–537هـ): يكنى بأبي الحسن، ثاني ملوك دولة الملثمين، تولاها بعد وفاة أبيه سنة 500هـ، وفي أيامه ظهر ابن تومرت الملقب بالمهدي، فعجز علي عن دفع فِتْنَتِهِ. انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج5، ص33.

2– بنصيح (عبد الواحد): **قضية إحراق كتاب الإحياء الملابسات والأسباب والمبررات**، مجلة الإحياء، ع 6، الرباط، 1995م، ص 107.

3- بلغيث، المرجع السابق، ص263.

4- ابن الآبار، المصدر السابق، ص271.

5- ابن حمادي، المرجع السابق، ص379.

6- **أبو الفضل النحوي**: هو أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوي من قلعة بني حماد، كان من أهل العلم والفضل، دخل سجلماسة وفاس ثم عاد إلى القلعة ومات بها سنة 513هـ. انظر: ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ت 617هـ): **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباسي السبتي**، تح، أحمد التوفيق، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م، ص ص 95–96.

7- نفسه، ص96.

لكتاب الإحياء، فبادر ابن النحوي بكتابه رسالة لأمير المسلمين عن ذلك[1]، لكن رغم ذلك فضل ابن النحوي الإقامة تحت سلطة المرابطين، مما يدل على تسامح فريد من نوعه مع المعارضة الفكرية في عصرهم[2].

يضاف إلى ذلك الفقيه أبو القاسم بن ورد[3]، الذي عارض عملية الحرق فكلفته هذه التضحية فقدان منصبه[4]، والملاحظ أن الذين عارضوا فتيا الإحراق وانتصروا للغزالي إنما هم فقهاء عرفوا بميلهم للتصوف[5]، وعليه فإن كتاب الإحياء للأمام الغزالي أثار ضجة كبرى خاصة في الغرب الإسلامي[6]، ويظهر ذلك جليا في الردود التي كانت بين محذر منه، ومدافع عنه، ومحرق له[7].

وبما أن السلطة انحازت إلى طرف من الأطراف بتأييدها لعملية الحرق، هذا الأمر جعلها عرضة للانتقادات، خاصة من طرف بعض الفقهاء والمتصوفة، الذين سيلعبون دورا رائدا في خط المعارضة ضد الدولة المرابطية، –وهذا ما سنحاول توضيحه في موضعه من الدراسة– كما أن معارضة بعض الفقهاء تجلت بوضوح بعد حوادث قرطبة 514هـ/1120م، وشرارتها الأولى إساءة أحد أتباع المرابطين لامرأة قرطبية، فتدخل الفقهاء وأهل قرطبة[8].

وبالتالي الوضع الذي كانت تعيشه الدولة المرابطية خاصة في بلاد الأندلس سيؤدي بلا شك إلى تزايد انطواء المرابطين على أنفسهم، وعلى اعتمادهم على الفقهاء، الذين أخذت مواقفهم في التباين، لتظهر عندهم اتجاهات مختلفة، فهناك بعض الإشارات تفيد أن نوعا من الفتور قد أصاب

---

[1]- بن حمادي، المرجع السابق، ص500.

[2]- بلغيث، المرجع السابق، ص 263.

[3]- **أبو القاسم بن ورد**: أحمد بن عمر بن يوسف بن ورد التميمي، من أهل المرية يكنى أبا القاسم من أشهر الفقهاء المحدثين، انتهت إليه الرئاسة في المالكية، ولي قضاء غرناطة سنة 520هـ، توفي بالمرية سنة 540هـ، انظر: ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح، محمد عبد الله عنان، ج1، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1973م، ص ص 169-171.

[4]- جدو فاطمة الزهرة: السلطة والمتصوفة في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير، إشراف إبراهيم بكير بحاز، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م، ص113.

[5]– بنصيح، المرجع السابق، ص 116.

[6]- البدراوي (محمد اليعقوبي): **إحراق كتاب الإحياء في المغرب الإسلامي**، **مجلة المناهل**، ع9، الرباط، 1977م، ص 314.

[7]– ابن حمادي، نفس المرجع، ص 575.

[8]– نفسه، ص143.

العلاقات بين الطرفين إثر حوادث قرطبة من ناحية، ومن ناحية أخرى انتهاء الانتصارات والعودة إلى المغارم والمكوس، هذا ما سيجعل الوجود المرابطي بلاد الأندلس مستثقلا، حسب اعتقاد عمر بن حمادي[1]، وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال عن حقيقة مواقف صفوف الفقهاء تجاه الدولة المرابطية؟

ما يلاحظ على المصادر أنها لا تتحدث عن الميولات السياسية المعارضة عند الفقهاء، لكنها في نفس الوقت تشير إلى بعض المواقف التي تدل على معارضتهم، وكمثال على ذلك ظاهرة الاستعفاء من تقليد المناصب القضائية أو الامتناع بالمرة عن مباشرتها، وهذه المواقف تحمل مضمونا سياسيا، إذ بالإمكان أن تعبر على نوع من المعارضة، بما أنها رفض لخدمة النظام القائم[2].

وبالتالي وجد تيار من الفقهاء، إن لم يصل إلى حدا المعارضة العلنية، فهو على كل يرفض خدمة الدولة والاتصال بها، ومن أبرز المواقف التي بالإمكان الاستشهاد بها، هو موقف كل من الفقيهين أبو عبد الله أبي عيسى السبتي المتوفى سنة(505هـ/1112م)، فهو قد دخل السجن لرفضه تقلد القضاء بفاس، ثم قبله ليهرب منه فيما بعد[3]، وأبي علي الصدفي المتوفى سنة(514هـ/1120م)، هو الآخر رفض قضاء مرسية، وفر ثم قبله كرها، لكنه اختفى من جديد حتى وقع إعفاؤه، ثم طلب لقضاء اشبيلية بعد ذلك فرفض[4].

كما وجد نوع آخر من المعارضة، والمتمثل في الميل الملاحظ عند عدد من الفقهاء، نحو أنواع السلوك الرافضة للمجتمع، كالميل نحو ما يسمى بالعزلة، وهذه الميولات هي في الواقع تعبير عن عدم الرضا على الوضع القائم، وبالتالي على السلطة المشرفة عليه، ونذكر كمثال على ذلك القاضي ابن العربي، الذي مال إلى العزلة التي كانت في نظره أفضل من الخلطة، في مجتمع فسد فيه كل شيء، وأصبحت فيه الحياة بعيدة عن منهاج الشرع والدين[5].

---

[1] - ابن حمادي، المرجع السابق، ص616.

[2] – نفسه، ص619.

[3] - عياض: الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض، تح ماهر زهير جرار، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982م، ص02.

[4] – ابن الأبار، المعجم، ص101.

[5]– دندش (عصمت عبد اللطيف): **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني 510هـ-546هـ/1116-1151م)**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 50.

ومن خلال ما سبق، نستنتج أن السلطة المرابطية في السنوات الأولى تمتعت بالتفاف حقيقي لكافة الفقهاء حولها، لكن بعد انتهاء فترة التوسعات، أخذت المواقف تتباين ليرتبط عدد منهم بهذه الدولة أكثر، في حين أخذ بعضهم يتملص من خدمتها، وبعضهم يذهب إلى معارضتها، وذلك نتيجة للأحداث والتطورات التي شهدتها الدولة مع مرور الوقت.

لكن السؤال الذي يبقى مطروح هل اقتصرت المعارضة السلمية على بعض الفقهاء؟ أم أن هناك من حمل لواء المعارضة السلمية جنبا إلى جنب مع هذه الفئة؟

2. معارضة بعض المتصوفة:

قبل التكلم عن معارضة بعض المتصوفة للسلطة المرابطية، وموقف هذه الأخيرة منها، سنحاول إعطاء لمحة موجزة عن التصوف[1] في بلاد المغرب والأندلس، حيث كان في بداية الأمر عبارة عن حركة زهدية[2]، شكلت الجذور الأولى للتصوف فيما بعد، كما عرفت المنطقة انتشارا واسعا لهذه الحركة منذ ق(3هـ/9م)، بفعل احتكاك أهلها بالمدارس المشرقية، واطلاعهم على آراء مشاهير الصوفية في تلك البلاد[3]، لتتبلور هذه الحركة وتتحول إلى تيار صوفي معتدل في ق(4هـ/10م)، وذلك من خلال التزام أتباعه بالقرآن والسنة وأخلاق السلف الصالح[4]، فالجدير بالذكر أن الذي مثل هذا الاتجاه في هذه الفترة هو محمد بن مسرة[5]، الذي حاول تكوين مدرسة صوفية، لذلك يعتبر أول أندلسي حاول التأصيل لمدرسة صوفية أندلسية قائمة بذاتها[6].

---

[1]- **التصوف**: العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه من الصفاء أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي، وهناك من قال أنه مشتق من الصوف، لأنهم كانوا يلبسون الصوف مخالفة للناس في لبس فاخر الثياب. انظر: ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ص611.

[2]- **الزهد: لغة**: زهد في الشيء وعن الشيء، وفلان يتزهد أي يتعبد. أما في **الاصطلاح**: فله العديد من التعاريف تصب في مشرب واحد ومنها خلو القلب مما خلت منه اليد. أنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج3، ص 1876؛ جدو، المرجع السابق، ص 12.

[3]- البختي(جمال علال): **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ص11.

[4]- بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص131.

[5]- **محمد بن مسرة**: هو محمد بن عبد الله بن نجيح، كنيته أبو عبد الله القرطبي، من مواليد(269هـ/882م)، مارس التعليم وقام بنشر آرائه، وبعدها اعتزل في جبال قرطبة مع بعض الطلبة والمريدين، لكن تجمع ابن مسرة لم يدم طويلا لأنه اتهم بالزندقة فخرج فارا إلى المشرق، وكان هذا من قبل الفقهاء المالكية، وبخروجه من الأندلس ينتهي الطور الأول من حياته حيث أظهر فيه علامات الفكر المغاير لما كان اعتقاد الناس مبنيا عليه في الأندلس، وهناك بالمشرق احتك بالمتصوفة، وبعد عودته إلى الأندلس، عاد إلى نشر مذهب معتمدا على السرية التامة، وتمكن من استمالة وكسب العامة، ومن أهم مؤلفاته: كتاب الاعتبار، وكتاب توحيد الموقنين، انظر، ابن الفرضي(أبو الوليد عبد الله بن محمد ت403هـ): **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، تح السيد عزت العطار، ج2، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م، ص41؛ البختي، نفس المرجع، ص18، كوربان (هنري): **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، تر، نصيرة مروة وحسن قيسي، ط2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1998م، ص ص 330-332.

[6]- جدو، المرجع السابق، ص30.

أما في القرن (5هـ-6هـ/11م-12م) أي في عصر المرابطين ظهر التصوف بتياريه المختلفين: الأول تمثل في **تيار التصوف السني** واتجاهيه، اتجاه التصوف السني الزهدي، الذي اصطلح عليه بوتشيش بالتصوف السني الساذج نظرا لبساطته، وبعده عن الخوض في القضايا الفلسفية[1]، فالملاحظ على هذا النوع من التصوف ذيوعه المبكر في الغرب الإسلامي، وانتشاره على شكل حركة زهدية، لأن كل الظروف كانت مناسبة لازدهاره، وأيضا ما ميز هذا الاتجاه هو عدم وجود مصطلح موحد كالصوفي مثلا، بل نجد عبارات وصف مختلفة، تراوحت بين زاهد، وورع، ومنقبض عن الدنيا، مائلا إلى طريق التصوف...إلخ، ومع ذلك أطلقت كتب التراجم لقب صوفي على أتباع هذا الطريق وأدرجتهم ضمن القائمة الصوفية[2].

في حين الاتجاه الثاني هو التصوف السني الفلسفي يندرج ضمنه اتجاهات عديدة، غير أن الاتجاه الذي لعب دورا كبيرا خاصة في بلاد الأندلس هو الاتجاه الباطني، الذي قام على تبني المبادئ الصوفية الغزالية، القائمة على المجاهدات للوصول إلى الكشف والميل إلى العلوم الباطنية[3]، إلّا أن ما يميز أتباع هذا الاتجاه المسالمة والموادعة، والابتعاد قدر الإمكان عن الدخول في اصطدامات مع السلطة، وتزعم هذا الاتجاه ابن العريف[4]، الذي جمع بين العلم والتصوف، كما أن أتباع هذا الاتجاه اتخذوا ألمرية مركزا لهم[5].

---

[1]- بوتشيش: المغرب والاندلس، ص 130.

[2]- جدو: المرجع السابق، ص 54.

[3]- بونابي (الطاهر): **التصوف في الجزائر خلال القرن(6-7هـ/12-13م)**، دط، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، دت، ص116 وما بعدها.

[4]- **ابن العريف**: أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي الأندلسي، المعروف بابن العريف، وقد سمي بهذا الاسم لآن والده كان يعمل عريفا بحرس الليل بمدينة طنجة قبل أن ينتقل إلى المرية، ونشأ نشأة دينية وأقبل على دراسة الفقه وعلوم الدين، كان من الفقهاء والمحدثين والقراء المحمودين، ثم غلب عليه الزهد والورع والإيثار، فأصبح من أعلام المتصوفة، توفي في سنة 536هـ/1142م. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ص168؛ ابن الزايات:المصدر السابق،ص119؛ ابن الأبار: **المقتضب من كتاب تحفة القادم**، تح، إبراهيم الأبياري، ط3، دار الكتاب المصري،دار الكتاب اللبناني، القاهرة،بيروت،1989م،ص70.

[5]- جدو، نفس المرجع، ص61.

وبالنسبة للتيار الثاني فهو **تيار التصوف الفلسفي**، الذي تميز أصحابه بمجاهدة النفس، والعمل على كشف حجاب الحس، واكتساب علومه، والوقوف على حكمته، فإن حصل الكشف تمكنوا من الإدراك، وكشفوا حقائق الموجودات، وحقائق الملك والعرش، غير أن صوفية هذا التيار اختلفوا في طرق مجاهدتهم، كما اختلفوا في طريقة إيصال أفكارهم ومبادئهم، إلى درجة أن البعض منهم دخل في اشتباكات عنيفة مع السلطة، وعليه فإن هذا التيار قد تفرع إلى اتجاهين مختلفين، اتجاه أول نستطيع أن نصطلح عليه بالمحايد، واتجاه ثاني متطرف حاد عن الطريق العام الذي سار عليه من سبقه، وتجرأ وحمل السيف في وجه السلطة المرابطية، مطالبا بالتغيير[1]، وهذا ما سنوضحه في المبحث الأخير من هذه الدراسة.

بعد هذا العرض الموجز للتصوف في بلاد الغرب الإسلامي، سنحاول الوقوف على علاقة المتصوفة بالسلطة المرابطية، ومن خلالها سنوضح معارضة بعض المتصوفة للسلطة، وموقف هذه الأخيرة منهم، لكن قبل ذلك سنتوقف عند نقطة هامة، والمتمثلة في موقف السلطة المرابطية من التصوف، خاصة وأن عصر المرابطين يعتبر عصر سيادة علماء المالكية، وأيضا عصر الانتصارات السنية الكبرى، يقول ابن الخطيب عن دولتهم: "وكانت دولتهم دولة خير وجهاد وعافية وأكثر الدول جريا على السنة"[2]، وهذا يعني أن هناك تداخل بين السلطتين الفقهية والسياسية، الذي كان نتيجة للظروف السياسية والدينية، التي نشأت فيها الحركة المرابطية[3]، وعليه فإن الحديث عن السلطة المرابطية ومواقفها تجاه التيار الصوفي يتطلب منا أن نقف قليلا عند هذا المصطلح-السلطة المرابطية- فالمقصود بها هنا سلطة الأمير وسلطة الفقيه، على أساس أنه لا يمكن الفصل بينهما، حيث أصبحت سلطة الفقهاء تضاهي سلطة أمير المرابطين في بعض الأحيان[4].

وعلى ضوء هذا، فإنه رغم سيطرة المذهب المالكي على الحياة الفكرية، إلا أن المجال الجغرافي للدولة المرابطية عرف انتشار مذاهب أخرى كالاعتزال والباطنية(الشيعة) والفلسفة، وقد عبر ابن مسرة

---

[1]- جدو، المرجع السابق، ص 72.

[2]- ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربي، ص 265.

[3]- ابن ميسرة (عمر): **الثقافة والفتن والمجتمع نماذج من المغرب الإسلامي**، ط1، جذور للنشر، الرباط، 2006م، ص 53.

[4]- مؤنس، **سبع وثائق جديدة عن الدولة المرابطية وأيامهم في الأندلس**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2000م، ص ص 22-23.

عن انصهار هذه المذاهب في بوتقة واحدة، ساهمت في تأسيس مدرسة صوفية، مزجت في أسسها بين الفكر الزهدي الصوفي، والفكر الفلسفي، والتيارات الاعتزالية، والشيعية، وبذلك انتشرت الحركة الصوفية التي عُرف أتباعها بالمريدين[1]، فلو رجعنا إلى أسباب انتشار هذه الحركة –أو التيار الصوفي بصفة عامة– في الغرب الإسلامي خاصة في بلاد الأندلس، لتجلى لنا بوضوح العوامل التي كانت سببا في معارضة بعض المتصوفة للسلطة المرابطية.

حيث أرجع بوتشيش ذلك –على حد تعبيره– إلى الأزمة المرابطية مع مطلع ق(6هـ/12م)، وأوضح الخطوط العامة لهذه الأزمة، والمتمثلة في فشل اديولوجية المرابطين، بحث انصدم هؤلاء المرابطين بمجتمع غير مجتمعهم والمتمثل في المجتمع الأندلسي، هذا الأمر أدى إلى احتدام التناقض بين المجتمع والسلطة، وانعدام الثقة في القوى الحاكمة، التي فشلت في تحقيق عدالة اجتماعية في نظرهم، بسبب احتكار النظام المرابطي لأشكال السلطة السياسية، وتهميش القوى السياسية الأخرى، إلى جانب ازدياد الرفاه المادي الذي أدّى إلى ظهور الفوارق الاجتماعية، وبالتالي تفشي الأزمة الأخلاقية والدينية[2].

وعليه فإن كل هذه الأسباب، أدت إلى ظهور حركة التصوف، وانتقالها من مرحلة الزهد السني إلى التصوف الفلسفي، فمن ملامح هذا الانتقال، هو الاصطدام بالسلطة المرابطية، التي رأت في سلوك المتصوفة خروج عن النظرة المالكية للدين[3]من جهة، ومن جهة أخرى اتخاذ المتصوفة سياسية مناقضة لسياسة الدولة المرابطية، ويتجلى ذلك في ظهور كرامات[4] الأولياء كعنصر خلاص من ظلم الولاة وتعسفهم، وأيضا انتهاج سياسة استسلامية مناقضة للسياسة العسكرية للدولة، حيث أصبحت

---

[1]– البوكيلي (فائزة): محنة صوفية الأندلس في العهد المرابطي سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 170، ط1، جامعة محمد الخامس أكدال، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي قراق، الرباط، 2012م، 127.

[2]- بوتشيش (إبراهيم القادري): **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1، سينا للنشر، مصر، 1995م، ص ص 135-136.

[3]- البوكيلي، نفس المرجع، ص 126.

[4] - **كرامات**: مفرد كرامة وهي تعبير أدبي من لون معين، وغالبا ما يكون عبارة عن حكاية قصيرة تروى قصة بطل صوفي أوولي صالح له من القدرات ما يمكنه من تحقيق ما هو خارق للعادة. انظر: بوتشيش، نفس المرجع، ص 132.

الكرامة الصوفية ملازمة للانطوائية التي تميز شخصية المتصوف، بعد أن كان أصحاب الرباطات والزهاد يقيمون في المحارس، دفاعا عن المجال الإسلامي[1].

كما أن هذه الكرامات الصوفية كان لها الفضل في استقطاب شرائح واسعة من المجتمع، هذا الأمر أدّى إلى استفحال سلطة الصوفي على حساب سلطة الحاكم، وبالتالي أصبح يشكل خطرا على النظام القائم، وهكذا بدأت السلطة المرابطية –بتحريض من الفقهاء– التصدي للمتصوفة عن طريق المراقبة الصارمة، واستدعائهم لاختبار أحوالهم، وأيضا لجوئها في بعض الأحيان إلى تعذيب بعضهم، هذا ما جعل بعض المتصوفة ينتهجون السرية التامة خاصة في نشر أفكارهم[2].

ونلاحظ على ضوء هذا، تباين موقف السلطة المرابطية من التيار الصوفي، الذي له اتجاهين، اتجاه مثله التيار المعتدل الذي سعى إلى إصلاح المجتمع عن طريق التعايش مع النظام المرابطي، واتجاه آخر مثله التيار المتطرف الذي نهج أسلوب الثورة وعول على الإطاحة بالنظام الحاكم–هذا ما سنوضحه في موضعه من الدراسة– لكن الآن سنحاول معالجة موقف التيار المعتدل الذي سلك المعارضة السلمية تجاه السلطة المرابطية، خاصة وأن هذا التيار لم يعش بمعزل عن مجتمعه الذي عصفت به الأزمة، كما عبر عنها بوتشيش فيما سبق، وفي نفس الوقت لم تتوفر له الحرية للتعبير عن مواقفه من القضايا السياسية والاجتماعية، إذ لم يملك من القوة ما يمكنه من تغيير الأوضاع، لذلك وظّف الكرامة للتعبير عن رؤيته[3].

وعلى الرغم من أننا لا نملك نصوصا توضح موقف المتصوفة من نظام الحكم، إلا أن هناك إشارت تقودنا إلى بعض مواقفهم تجاه السلطة المرابطية كالكرامات الصوفية مثلا، فالمتصوفة لم يكونوا يملكون القدرة على مجابهة السلطة عن طريق العنف، لذلك وجدوا في الكرامة الصوفية المنبر الذي يوجهون منه طروحاتهم، باعتبارها خطاب سياسي يتضمن دعوة، لمناهضة الظلم والطغيان، فقد وظفت حكاياتها للانتصار على الظلم، إما بواسطة الدعاء بالهلاك، أو تهديد بالرؤيا والأحلام، أو

[1] - البوكيلي: المرجع السابق، ص 133.

[2] - نفسه.

[3]- بوتشيش: المغرب والأندلس، ص140

عن طريق تسليط بعض القوى الخارقة كالجن على المستبد، وفي كل الأحوال كان النقد موجها للأمراء، وولاة المدن، أو القضاة ، ورؤساء النواحي[1].

وكنموذج لذلك جاء في إحدى الروايات، أن رجلا قصد الولي عبد الله بن كريس-وحسب ابن الزيات فهو من أهل الزهد والورع- فأخبره بتهديد عامل الأمير علي بن يوسف، وعزمه على قتله، فطمأنه الولي المذكور، وما أنْ مرت سوى مدة قصيرة حتى أصيب العامل بألم قضى على حياته[2]، وتذكر رواية أخرى أن أحد عمال علي بن يوسف طالب الناس بمغارم جائرة، فدعا عليه أحد الأولياء، فوصله في الحين كتاب الأمير المرابطي يقضي بعزله[3].

في حين أن هناك روايات أخرى عن كرامات موجهة للأمراء، من بينها أن أحد المتصوفة وهو أبو زكرياء يحي ابن محمد الجراوي تنبأ بهزيمة الأمير المرابطي تاشفين بن علي[4]، لما عزم على مطاردة الموحدين بوهران -وسنتطرق إلى هذا في حينه- فنصحه بعدم ملاحقتهم، لكن الأمير لم يسمع بنصيحته، فتأكد للولي أنه لن يعود، وأن دولته ستنقرض[5].

وفي ذلك دليل أن الكرامة الصوفية حاولت إبراز المكانة السياسية للمتصوفة، والتي تفوق حكمة الأمير نفسه، بل إن بعضها حاولت أن تُظهر أن المتصوفة ينتصرون أحيانا على الأمراء، ويتجلى هذا الانتصار في انبهار هؤلاء بكرماتهم، وتحولهم من حياة البذخ والترف إلى حياة الزهد والتقشف.[6]

---

[1] – بوتشيش، المغرب والأندلس، ص ص141 145.

[2]- ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص130-131.

[3]– نفسه، ص151.

[4]- **تاشفين بن علي**: يكنى بأبي المعز، من ملوك دولة الملثمين، تولاها سنة 537هـ، بعد وفاة والده، في الوقت الذي كان عبد المؤمن بن علي قد توغل في بلاد المغرب، لذلك كانت أيامه كلها حروبا، انتهت بقتله في وهران. انظر: الزركلي، المصدر السابق، ص ص82 83.

[5]– ابن الزيات، نفس المصدر، ص ص137-138.

[6]-- بوتشيش، نفس المرجع، ص ص 145.

وفي الوقت ذاته سعت الكرامات إلى تبديد كل تخوف يثني عزم المتصوفة عن مقاومة الظلم السياسي، فهوّنت عليهم السجن الذي كانت تلوح به السلطة المرابطية، فقد ورد في إحدى الروايات أن أحد الأولياء سُجن مع مجموعة من المريدين، فكان الكبل يسقط من رجليه كلما أراد الصلاة، وبقي كذلك إلى أن خلى الأمير المرابطي سبيله، فمثل هذه الكرامة هدفت دون شك إلى رفع معنويات المتصوفة، وتشجيعهم على الثبات في الشدة، وتبشيرهم بالخلاص من اضطهاد السلطة[1]، وعليه فالكرامات الصوفية عبرت عن موقف بعض المتصوفة، لكن السؤال الذي يبقى مطروح: كيف كانت نظرة السلطة المرابطية لهؤلاء المتصوفة؟ وما السياسة التي اتبعتها تجاههم؟

وعت السلطة المرابطية –بإيعاز من الفقهاء– بخطورة ما يطرحون في كراماتهم من مواقف مناهضة لها، لذلك تصدت لهم بالمراقبة الصارمة، والتشدد الذي وصل إلى الاعتقال والسجن، لكنها حين شعرت بالفشل في مواجهتهم، نهجت سياسة التقارب منهم، وبناءا على ذلك اتخذت العلاقة بين الطرفين شكلين متناقضين: فالشكل الأول تميز بالتوتر[2]، حيث تؤكد النصوص على نفور معظم المتصوفة من الأمراء، ورفضهم سياسة التقارب منهم، فالمتصوف أبو بكر بن يحي بن محمد[3] لم يمشي بقدمه في مظلمة ولا باب سلطان[4]، وفي نفس الاتجاه نصح المتصوف أبو محمد عبد العزيز التونسي[5] تلامذته بالابتعاد عن تقلد وظائف الدولة، حتى لا يكون بتدريسهم كبائع السلاح من اللصوص، ومقابل ذلك دعاهم إلى الاعتناء بدراسة علوم التصوف[6].

---

[1]- بوتشيش، المرجع السابق، ص146

[2]- نفسه.

[3]- **أبو بكر بن يحي بن محمد**: هو شيخ أبي الحسن يحي بن محمد الأنصاري، المعروف بابن الصائغ، وكان من أهل العلم والحل والزهد في الدنيا وأهلها، وأخذ عن الإمام أبي بكر بن العربي. انظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص296-297.

[4]- نفسه، ص197

[5]– **أبو محمد عبد العزيز**: أصله من تونس، اخذ القفه عن أبي عمران الفاسي وأبي إسحاق التونسي، استقر باغمات، وكان ورعا متقللا من الدنيا، هاربا من أهلها، توفي سنة486هـ. انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج2، ص549.

[6]- نفسه.

كما تبرز بعض الروايات ما اعترى بعض المتصوفة من ندم نتيجة تقربهم من السلطة المرابطية، ومن بينهم أبو محمد أبو الأمان(ت540هـ)[1]، الذي قال:"كانت لي أحوال فقدتها من يوم اجتماعي بالسلطان وحديثي معه"، حتى أنه قيل عنه، أن الأمير على بن يوسف خرج من مراكش لزيارته، فلم يرد أبو محمد أن يدخل إليه[2]، كما أن متصوف آخر وهو أبو الفضل أحمد بن محمد (ت542هـ)، من أهل سجلماسة، "تمنى لقاء ربه وهو لا يحاسبه على كذبه، إلّا كذبة اكرهه السلطان عليها[3]"، إضافة إلى ذلك هناك بعض المتصوفة من انتقد أمراء المرابطين مباشرة، كأبي محمد عبد السلام الذي انتقد الأمير تميم ابن يوسف علنا في جامع تلمسان، على مال استسلفه من احباس هذا الجامع، واستنكر أن يرده من ماله الخبيث[4].

لذلك نجد بعض المتصوفة قد تعرضوا للقمع والاضطهاد والملاحقة، فمثلا أبو الفضل أحمد ابن محمد طُلب، فخاف على نفسه، فاختفى في جنة له، وبقي بها إلى أن أشرف على الموت من شدة الجوع[5]، يضاف إلى ذلك ما قامت به السلطة من مراقبة صارمة على كل من اشتبه في أمره من المتصوفة، فصارت تلاحقهم، وتمنع وصول الرسائل والخطابات إليهم، أو تستدعيهم لاختبار أحوالهم.[6]

وفي هذا الصدر تجمع المصادر على استدعاء الأمير علي بن يوسف لابن العريف إلى مراكش، بتدبير من قاضي المرية ابن الاسود[7] الذي خوفه من حاله، لكن الأمير تراجع عن موقفه لما حضر ابن العريف، بل أمر بتغريب القاضي ابن الأسود، خاصة وأن ابن العريف لم يكن من دعاة الثورة على النظام المرابطي، بل كان في كل مرة يحث تلامذته على عدم الخروج على السلطان، ومحاولة إصلاح

---

[1]- **أبو محمد أبو الأمان:** كان من الحفاظ لمذهب مالك، ويقال انه درس القفه على عبد العزيز التونسي باغمات، وكان عبدا صالحا مات عام 540 هـ. انظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص152.

[2]- ابن الزيات، نفس المصدر، ص152.

[3]- نفسه، ص ص153-154.

[4]- نفسه، ص111.

[5]- نفسه، ص154.

[6]- بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين**، ص152.

[7]- **ابن الاسود:** هو أبو بكر محمد بن إبراهيم الغساني، من أهل المرية، تولي القضاء بمرسة، لم تحمد سيرته فيها، ثم ولي قضاء بلده، توفي في نكبته بمراكش 536هـ. انظر: ابن بشكوال، ج2، ص553؛ ابن الأبار، **العجم**، 130.

المجتمع بالسبل السلمية المتوفرة، من وغط، وتوعيه[1]، وهذا ما ورد في إحدى رسائله إلى ابن المنذر[2]، يحذره من الخروج عن السلطان بقوله:"والقدح في الدول وانتظار مهدي يصلح به لا يعتقده حصيف ولا يظن مثله بمسلم إلا ضعيف...فكن كما أنت في إكرام الكبراء، وإنعاش الفقراء، ولا تبالي بمن عاداك ظالما لك... [3]".

وفي مقابل ذلك نجد أنها تعاملت بأسلوب مغاير للذي اتبعته مع ابن العريف، اتسم بالقوة والعنف، خاصة مع باقي الزعماء، فهذا ابن برجان[4] والميورقي[5]، اللذين صحبا ابن العريف في رحلته إلى مراكش، تعرضا للتعذيب ثم السجن فالأول ظل مسجونا حتى توفي 536هـ، وقد أورد ابن الزيات رواية ومفادها، أنه لما توفي ابن برجان بمراكش، أمر الأمير أن يُطرح على المزبلة ولا يُصلي عليه، فدخل على علي بن حرزهم[6] احد عبيده، واخبره بما أمر به الأمير، فطلب منه هذا الأخير أن يخرج مناديا في الناس بان يحضروا جنازة الفقيه الزاهد، ومن لا يحضر فهو ملعون، ويبدو أن هذا الأمر قد بلغ مسامع الأمير المرابطي على بن يوسف، فاقره[7].

---

[1]- جدو، المرجع السابق، ص102.

[2]- **ابن المنذر**: هو أبو الوليد بن عمر بن المنذر، أخذ العلم في إشبيلية، وتولى عدة مناصب قضائية، كان منها خطة الشورى، وتميز بالمعارف الأدبية والفقهية، ثم تزهد وتصوف بماله، ورابط على ساحل البحر من رباط ريحانة بشلب. انظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، تح حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، 1985م، ص202.

[3]- ابن العريف (أبو العباس ت536هـ): **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، تح عصمت عبد اللطيف دندش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ص213.

[4]- **ابن برجان:** هو ابو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن الاشبيلي، أصله من افريقية، وهو من كبار متصوفة العهد المرابطي. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص236؛ ابن الزبير (أبو جعفر بن إبراهيم ت708هـ): **صلة الصلة**، تح عبد السلام هراس وسعيد اعراب، ج4، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، 1994م، ص33.

[5]- الميورقي: هو محمد بن الحسين بن احمد بن يحي الأنصاري الخزرجي، كنيته أبو بكر، الشهير بالمورقي، يغلب عليه الزهد والصلاح توفي ببجاية (537 هـ_1142م). انظر: ابن الزبير، نفس المصدر، ج5، ص392؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص190؛ ابن الأبار، المعجم، ص147.

[6]- **علي بن حرزهم**: هو علي بن اسماعيل بن حرزهم، من أهل فاس، توفي 559هـ، كان فقيها زاهدا في الدنيا، سالكا في التصوف. انظر: ابن الزيات، المصدر السابق، ص ص168-169.

[7]- نفسه، ص170.

أما الميورقي فقد تمكن من الفرار والتجأ إلى بجاية، حيث توفي هناك سنة (537 هـ-1142م)[1].

كل هذه الأمثلة سابقة الذكر، تكفي لتكون دليلا على علاقة التوتر التي كانت بين الطرفين، وعلى ما يبدو أن أشد الأمراء عداوة للمتصوفة هو الأمير علي بن يوسف، رغم أنه أقربهم إليه من ناحية مسلكه الزهدي، كما أن هذا العداء يؤكد حالة الخوف والترقب، التي كانت السلطة الحاكمة تتوجسها من هذه الفئة، خاصة بتزايد نفوذهم على الصعيد الاجتماعي، بسبب الإقبال الشعبي، والاحترام التي أصبحت تحضا به هذه الفئة[2].

هذا ما يبرر محاولة السلطة المرابطية وضع المتصوفة خارج الشرع، عن طريق اتهامهم بالخروج عن السنة، والقول بالتأويل، كما حاولت ضرب الاتجاه الصوفي الغزالي عن طريق الادعاء أن كتاب الإحياء يحتوي على مسائل منافية للسنة، واستعانت بذلك بالفقهاء، الذين اتخذوا موقفا عدائيا تجاه المتصوفة، وإذا كانت العوامل المذهبية –كما نظر إليها بوتشيش- تظهر كأساس في الصراع بين الفقهاء والمتصوفة، فإن ذلك لم يكن سوى غطاء للصراع الاجتماعي بين فئة ثرية، وأخرى تدعو إلى الزهد والتقشف، وعلى كل حال ظهر الموقف العدائي للفقهاء واضحا في تأليب السلطة المرابطية عليهم، لذلك كان من الطبيعي أن يصف أحد المتصوفة كل الفقهاء الذين تقلدوا الخطط والعمالات باللصوص[3].

لكن عجز السلطة المرابطية -بمساعدة الفقهاء- في القضاء على التيار الصوفي، جعلها تنتقل من أسلوب المواجهة إلى أسلوب الاحتواء، وهو الشكل الثاني من أشكال علاقة السلطة بالمتصوفة، وكمثال على ذلك ما قام به الأمير مزدلي عندما توجه بنفسه إلى أبي محمد عبد السلام للتبرك به، وللغاية نفسها اتبعت كذلك أسلوب الإغداق والإنعام بالأموال على بعض المتصوفة، وكمثال على ذلك تلك التجربة التي نجحت مع آل أمغار بأزمور، فقد منح المرابطون شيوخ هذه الأسرة ظهائر

---

[1]- ابن الأبار، المعجم، ص147.

[2]- جدو، المرجع السابق، ص103.

[3]– بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، ص153.

التوقير والاحترام، والدليل على ذلك رسالة علي بن يوسف إلى أبي عبد الله محمد بن الشيخ أمغار، مؤرخ في سنة 527هـ/ 1132م، يلتمس فيه دعاءه وبركته[1].

وعلى ضوء هذا، فإن موقف السلطة المرابطية تجاه المتصوفة تميز بالتوتر، واستعمال الشدة التي وصلت إلى حد سجنهم، بينما تحولت في نهاية المرحلة المدروسة إلى محاولة احتوائهم، بعد أن عجزت عن كسر شوكتهم، لكن الأكيد هنا أن الظروف التي كانت تمر بها الدولة المرابطية خلفت انعكاسات سلبية، جعلت الأمراء يلينون بعض الشيء في تعاملهم مع هذه الفئة، وذلك بهدف تحييدهم على الأقل وضمان ولائهم، حتى ولو كان ولاءً ظاهريا، وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال عن الظروف التي جعلت موقف السلطة المرابطية يتحول من الشدة إلى اللين؟

[1]- بوتشيش، المغرب والأندلس، ص154؛ انظر الملحق رقم 04.

3. معارضة ابن تومرت السلمية:

شهدت بلاد المغرب خلال حكم الأمير المرابطي علي بن يوسف هزة فكرية جديدة، متمثلة في الدعوة الدينية التي ناد بها ابن تومرت[1]، وبثها بين أتباعه، معارضا بها الدولة المرابطية، وهذه الدعوة هي خلاصة دراساته التي قام بها في المغرب والأندلس، ثم في المشرق، فالتقى بكثير من أئمة الفكر والدين[2]، خاصة في بلاد المشرق، وانتقاله إلى هذه الأخيرة كان سنة (510هـ/1107م)، ففي البداية نزل في الإسكندرية وأخذ عن الإمام الطرطوشي[3]، ومنها اتجه إلى مكة لأداء مناسك الحج[4]، ثمّ شدّ الرحال إلى بغداد أين التقى فيها بالإمام أبو حامد الغزالي[5].

ولكنّ مسألة لقاء محمد بن تومرت بالإمام الغزالي، أثارت شكوكا عدة، فقد انقسمت مواقف المؤرخين بين ناف ومشكك ومؤكد، فمن الذين نفوه نجد ابن الأثير حيث يقول:"الصحيح أنه لم يجتمع به فحجّ من هناك وعاد إلى المغرب"[6]، أما المراكشي كان من المشككين، ويظهر ذلك من خلال قوله:"وقيل أنه لقي أبا حامد الغزالي في الشام والله أعلم"[7]، غير أن هناك من أثبت هذا اللقاء كابن القطان الذي ذكر لقاء محمد بن تومرت بالإمام الغزالي، وذكر الحديث الذي دار بينهما حول قضية حرق المرابطين لكتاب الإحياء[8]، وأيضا من الذين أثبتوا هذا اللقاء **ابن أبي زرع** في كتابه الأنيس

1- **ابن تومرت**: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهو بهذا ادعى النسب الشريف، وينتسب إلى قبيلة هرغة المصمودية. انظر: الزركشي(أبو عبد الله بن إبراهيم) : **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح محمد ماضور،ط2، المكتبة العتيقة تونس، 1966م، ص 03؛ انظر: الحافظ الذهبي: **العبر في خبر من غبر**، تح أبو هاجر محمد السعيد وبسيوني زغلول، ج2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص142.

2- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 191.

3- لقام خالد: **دور الصوفية في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية بالمغرب الإسلامي في عهد الموحدين**، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي، إشراف، عبد الحكيم بوازيدي، جامعة بوزريعة، 2013، ص 18.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 301.

5- ابن الخطيب، **الحلل الموشية**، ص ص76 77.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، مج 9، ص 195.

7- المراكشي، **المعجب**، ص 245.

8- ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن عبد الملك الكتامي ت منتصف القرن 7هـ): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص ص72 73.

المطرب بروض القرطاس إذ قال:"لقي من العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ الأوحد أبو حامد الغزالي رضي الله عنه، ورحمه لازمه لاقتباس العلم ثلاث سنين"[1]، إلاّ أن هناك من يذهب أبعد من ذلك، بقولهم أنّ رحلة محمد بن تومرت لم تتجاوز مصر، فدرس هناك وعاد بعض شيوخها وعاد إلى المغرب[2].

وبعد تقلب ابن تومرت في البلاد وانهماكه في طلب العلم، عاد إلى المغرب متشبعا بأفكار الغزالي من جهة، ومن جهة أخرى كان ملما الماما كاملا بعلم الشريعة وأصول الدين، متمكنا من علم الكلام وطرق الجدل، متطلعا على العربية بليغا فيها، محيطا بمحاسن المدارس الفكرية وعيوبها، لذلك ما إن وطئت قدماه بلاد المغرب حتى بدأ في إلقاء دروسه على عامة الناس في كل مكان[3].

فبعد أن نزل بالإسكندرية –حيث بدأ في ممارسة دعوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– وطرده منها، اتجه إلى المهدية التي كانت في إمارة يحي بن تميم بن المعز بن باديس، واجتمع إليه أهل المدينة ، فقرأ عليهم كتابا في أصول الدين، وكان إذا شاهد منكرا غيره[4]، وهذا ما جعل الأمير علي بن يحي يحضره في مجمع من الفقهاء ليتبين أمره، فغادر ابن تومرت المهدية، مخلفا ذكراه في قلوب الكثير من سكانها[5].

وبعدها قصد بجاية مع رفاقه وهم يوسف الدّكالي، والحاج عبد الرحمان، وأبو بكر علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، وكان عليها يومئذ العزيز بالله ابن المنصور بن النّاصر بن علاء النّاس (ت 518 هـ/1123 م)، وكان ذلك سنة 511 هـ/ 1117 م ونزل في مسجد الريحانة[6]، وهناك لجأ إلى أسلوب آخر وهو استعمال الشدّة والقوة في النهي عن المنكر، فنهى النّاس عن أمور عدة، ومنها عمائم الجاهلية

---

[1]– ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 172.

[2]– مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، ص 203.

[3]– الغنای (مراجع عقيلة): **قيام دولة الموحدين**، د ط، جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م، ص199.

[4]– السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، دط، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ت، ص 681.

[5]– النّجار (عبد المجيد): **المهدي بن تومرت، حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 م، ص ص 88، 89.

[6]– النجار، المرجع السابق، ص ص 89 –90.

ولباس الفتوحيات[1]، ونهاهم عن التزين بلباس النساء لأنه كان بها طبقة من الشباب الخليع المتشبه بالنساء في زيه[2]، ولما كان عيد الفطر اختلط الرجال بالنّساء، فدخل عليهم ابن تومرت بالعصا، فطرده أميرها ابن العزيز[3].

لينزل فيما بعد بضيعة يقال لها ملالة، وبها لقي عبد المؤمن بن علي[4] الكومي[5]، وكان هذا الأخير متجها إلى المشرق في طلب العلم رفقة عمه[6]، فأعجب المهدي به، وعرض عليه أن يشاركه في العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاتجها إلى المغرب وكان معهما **الونشريسي** صاحب المهدي[7] ونزل في مسجد العبّاد **بتلمسان**[8].

---

[1]- **الفتوحيات**: جمع فتوحية وهو يشبه ما يسمى في فاس بالمنصورية والفرجية. انظر: البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي): **أخبار المهدي بن تومرت**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، حاشية ص 13.

[2]- النّجار، نفس المرجع، ص90.

[3]- البيذق، نفس المصدر، ص13.

[4]- **عبد المؤمن بن علي**: هو عبد الله بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير أبو موسى بن عبد الله بن يحيى بن وررايع بن صطفور بن ينور بن مطماط بن خزرج بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى بالكومي، ولد في آخر سنة 487هـ وتوفي في جمادى سنة 558هـ، بويع بالخلافة خلفا لابن تومرت. انظر: المراكشى، **المعجب**، ص 265.

[5]- أبو الفدا: **المختصر في أخبار البشر**، مج 1، دط، دار المعرفة للطباعة والنشر، د ت، ص 180.

[6]- بن قربة (صالح): **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1991م، ص ص09-10.

[7]- الزركشي، المصدر السابق، ص05.

[8]- المراكشي، نفس المصدر، ص250.

ثمّ اتجه إلى **فاس**[1]، ثمّ إلى **مكناس**[2]، ونهى فيها عن المنكر، وبعد أن نزل بمراكش في 515هـ، خرج ابن تومرت إلى السوس[3] ونزل بموضع يعرف **تينملل**[4]، ولحق به أصحابه العشرة[5]، وكانوا هم السابقون لدعوته[6]، واجتمعت له قبيلة المصامدة، فشرع في تدريسهم، وهذا لاستقطاب الرأي العام لمهدويته، وجذب عناصر متنورة لتصبح من صحابته[7]، فذكر اسمه ونسبه حتى استقر عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما روى أحاديث كثيرة، ليستقرّ على أنه المهدي المنتظر[8]، فبايعوه بالمهدوية سنة (518هـ/ 1124م)[9] وكان أول من بايعه أصحابه العشرة، ثمّ أصحاب تينملل وسائر القبائل[10]، لكن السؤال الذي يبقى مطروح كيف تمكن ابن تومرت من بث دعوته في بلاد المغرب؟ وما هي الأساليب التي اتبعها من أجل ذلك؟.

---

[1]- **فاس**: وهي المغرب يشقها واد فاس، والذي يأتي من عيون تسمى صنهاجة، وهي قطب بلاد المغرب، ويسكن حولها قبائل من البربر، لكنهم يتكلمون العربية. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص434.

[2]- **مكناس**: وهي مدينة كبيرة أسستها قبيلة مكناسة، فسميت باسمها وتبعد عن قابس بنحو ستة وثلاثين ميلا، وتتكون من مدينتان صغيرتين يفصل بينهما حصن جواد، اختط إحداها يوسف بن تاشفين، والأخرى قديمة. انظر: الحسن الوزان: **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص214؛ الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص181.

[3]- **السوس** : وهو إقليم يبدأ غربا من المحيط وينتهي جنوبا في رمال الصحراء، وشمالا في الأطالس عند حدود حاحا، شرقا عند نهر السوس. انظر: الوزان، نفس المصدر، ص113.

[4]- **تينملل**: جبل عال جدا شديد البرودة، على قمته مدينة تحمل اسمه، هي عامرة كذلك ومزدانه بمسجد جميل ويخترقها نهر جار فيها. انظر: ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص176.

[5]- وهم: عبد المؤمن بن علي، وأبو علي عمر الصنهاجي، وأبو حفص عمر الهنتاني، وإسماعيل بن مخلوف، وإبراهيم بن إسماعيل الهرغي، وإسماعيل بن موسى، وأبو يحيى بن مكيث، ومحمد بن سليمان، وأبو محمد عبد الله بن مالوث، وأبو عبد الله بن عبد الواحد المكنّى بالبشير. انظر: ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص108.

[6]- نفسه، ص 108.

[7]- بن تومرت (محمد): **أعز ما يطلب**، تح، عبد الغني أبو العزم، د ط، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، المغرب، د ت، ص 20.

[8]- المراكشي، المصدر السابق، ص 255.

[9]- أبو الفضل (محمد): **شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515هـ/686هـ)**، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دط، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م، ص53.

[10]- ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص109.

قبل التكلم عن هذه الأساليب، سنتوقف عند نقطة مهمة، والمتمثلة في المذهب الذي اتبعه ابن تومرت، وذلك من خلال الدعوة التي عمل على نشرها، حيث نجد هذه الأخيرة–الدعوة– قد استمدت مكوناتها من مذاهب متعددة، فقد نادى بالإمامة وبعصمة الإمام[1]، حينما ادّعى بأنه إمام معصوم عن الخطأ، وهو بذلك أخذ هذا المبدأ من الشيعة[2]،كما بين في كتابه "أعز ما يطلب"ضرورة وجود الإمام، وأن وظيفته ركن من أركان الدين[3]، ثم أخذ يبشر بالمهدي المنتظر ويعدد صفاته، وهي متوفرة فيه، ومن ثم بايعه أصحابه على أنه المهدي[4]، وصار يُخطب له على المنابر بالإمام المعصوم والمهدي المعلوم[5].

ويضاف إلى ذلك أنه كان يقول بالظاهرية ويكره التأويل، فقد استند إلى مذهب ابن حزم[6]، حين التزم بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين[7]، وأيضا كان يفهم التوحيد فهم المعتزلة، لأنه تأثر بأفكارهم[8]، خاصة وأنه أفرد بابا في كتابه عن التوحيد:"باب في أن التوحيد هو أساس الدين الذي بُني عليه، وأن فروعه إنما تثبت بعد العلم بثبوته... [9]".

وهكذا مزج ابن تومرت دعوته بكثير من الآراء والأفكار، واستطاع بذكائه وحيلته أن ينشر أفكاره، وأن يجمع حوله الكثير من أهل بلاد المغرب في فترة وجيزة، معتمدا في ذلك على أساليب مختلفة، كاستخدامه لسلاح الجدل والمناقشة ببراعة ودهاء، وأيضا ساعدته في ذلك رحلته إلى المشرق

---

[1] – حسن (علي حسن): **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص 453.

[2] – الغناى، المرجع السابق، ص 205.

[3] – ابن تومرت، المصدر السابق، ص 297.

[4] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 68.

[5] – حسن علي حسن، نفس المرجع، ص 544.

[6]– **ابن حزم**: هو أبو محمد ابن حزم الظاهري، صاحب حديث وفقه وجدل، كان شافعي المذهب، يناضل الفقهاء عن مذهبه ثم صار ظاهريا وتوفي بالبادية سنة 456هـ. انظر: المقري (أحمد التلمساني): **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، إحسان عباس، مج2، دط، دار صادر، بيروت، 1988م، ص ص 77–78.

[7] – حسن علي حسن، نفس المرجع، ص 455.

[8] – حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص 107.

[9] – ابن تومرت، نفس المصدر، ص 321.

وتزوده بالعلوم الكلامية من جهة، ومن جهة أخرى ناظر مجموعة من العلماء جمدت معارفهم وعلومهم على الفروع، نتيجة إهمالهم لعلم الأصول، فكان من السهل الانتصار عليهم[1].

كما حرص على فضح الفقهاء وبيان مدى جهلهم في العلوم الدينية، ومن ذلك ما حدث بمراكش في (515هـ/)، حيث لقي أميرها علي بن يوسف[2]، وناظر هناك فقهاء قرطبة ومنهم مالك بن وهيب[3]، فتمكن من إثبات جدارته بتغلبه عليهم، وقد صور ذلك البيذق في قوله:"وذلك أن علي بن يوسف بعث إلى العلماء حتى وصلوا من كل جانب ومكان، فذاكرهم المعصوم فأفحمهم... [4]"، وأيضا من الأساليب التي انتهجها ابن تومرت انتسابه لبيت النبوة، لكن نسبه هذا اختلف فيه المؤرخون بين مؤكد ومشكك، لكن المهم هنا أن هذه النسبة سواء كانت صحيحة، أم غير صحيحة، فإنه استغلها ابن تومرت أحسن استغلال في ادعائه بأنه المهدي المنتظر[5].

كما أنه اتخذ أسلوب آخر، والمتمثل في البرنامج الديني الذي وضعه لأصحابه، حيث استخدم لغة البربر بجانب اللغة العربية، وذلك لاستمالة أكبر عدد ممكن من سكان البلاد، ثم ألف لهم عقيدة تسمى المرشدة، وجعل فيها الأعشار والأحزاب والسور، وأمرهم بحفظها، ومن لم يحفظها عُدّ كافرا لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته[6]، ويضاف إلى ذلك تلك التعاليم التي تلزمهم بطاعة الإمام والانقياد له، مما نتج عنه تعظيمهم لابن تومرت[7].

إذن، الفترة التي كان يبث فيها ابن تومرت دعوته، أعلن حربا دعائية ضد المرابطين، محاولا هدم دعوتهم، وبث الوهن والضعف في نفوس أتباعهم، مستغلا بعض صفاتهم، فأطلق عليهم عدة

---

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص456.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص 46.

[3]- النجار، المرجع السابق، ص 102؛ انظر: الملحق رقم 07.

[4]- البيذق، المصدر السابق، ص 68.

[5]- حسن علي حسن، نفس المرجع، ص 457.

[6]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، 177.

[7]- المراكشي، **المعجب**، ص 191.

تسميات، كالمجسمون لأنهم قبلوا النصوص على علّاتها، وأقرّوا الصفات لله تعالى[1]، ولقبهم أيضا بالزراجنة[2]، وبالحشم لارتدائهم اللثام كما تفعل النساء المتحشمات[3].

وبجانب هذه التسميات، كانت هناك المحاضرات والمناظرات التي كان يهاجم فيها المرابطين، ومن ذلك ما حدث في بجاية، حين أخذ يهاجم التلثم عند المرابطين، وأن ذلك من فعل النساء، ولا يجوز للرجال التشبه بهم، وأنهم لا يجوز طاعتهم لأنهم كفار ومنافقون، ومتبعون الهوى ومعتدون، ومفسدون وجاهلون[4]، وأخذ يعدد هذه العلامات والصفات، فهو في معارضته هذه يتلمّس أي صفة ويلصقها بهم، ثم يدعمها بالآيات والأحاديث، حتى يتسيغ الناس قبولها والإيمان بها[5]، وحتى تؤتى هذه الدعاية ثمرتها حفلت دروسه بالتبشير بظهور جماعة الحق التي تُطهر الأرض من الفساد، وبيان صفاتها، ويعني بذلك جماعة الموحدين، وكيف أن النصر سيكون دائما في ركابها[6].

وعلى ضوء ما سبق، نخلص أن معارضة ابن تومرت تكمن في الدعوة التي جاء بها، وهي ضد الدعوة المرابطية، وأيضا تمثلت في الحرب الدعائية التي أعلنها ابن تومرت على السلطة المرابطية، لكن السؤال المطروح هنا، ما موقف هذه الأخيرة من هذه المعارضة؟ وكيف تعاملت معها؟ وهل اتبعت نفس النهج الذي اتبعه ابن تومرت؟ أم أنها استعملت القوة والشدة لصدها؟

واجهت السلطة المرابطية معارضة ابن تومرت بنفس السلاح الذي اتبعه هذا الأخير، بحيث استندت دعاية المرابطين إلى أن الموحدين خوارج[7] منشقين على طاعة الإمام بقصد إحداث فتنة في البلاد، فقد نسبوا لابن تومرت عدة آراء تخرجه من دائرة الإسلام، ومنها أنه يُكفّر الناس بالذنوب، ويقول أنه من تاب لا يلزمه قضاء الصلاة والصيام وغير ذلك من العبادات، وأيضا أطرح مذاهب

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 229.

[2]- **الزراجبة:** طائر أسود البطن، أبيض الريش، والمرابطون يشبهونه في أن قلوبهم سوداء وملابسهم بيضاء. انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص458.

[3]- ابن خلدون، نفسه المصدر، ص 228.

[4]- ابن القطان، نفس المصدر، ص ص 48 49.

[5]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 459.

[6]- ابن تومرت، المصدر السابق، ص ص 396-399.

[7]- ابن الخطيب، **الحلل الموشية**، ص 81.

العلماء وكتبهم، وخرج على الإجماع وكفّر المسلمين، واستحل دماءهم، وأموالهم، وحريمهم، وجعل أموال الناس غنيمة تُخمّس كما تخمّس أموال النصارى، وقام على الأمراء ونزع يده من طاعتهم[1].

وهكذا عاش أهل بلاد المغرب في ظل تلك الحرب الكلامية، بين مؤيد للمرابطين ومعارض لهم[2]، خاصة بعدما تحايل عليهم ابن تومرت حين ألف لهم موطأ، جمع فيه الأحاديث النبوية التي وردت في موطأ الإمام مالك، بعد حذف معظم الإسناد منها للاختصار، فهي إذًا محاولة منه في صرف الناس عن المؤلفات المالكية، وهذا دليل على ذكاء ودهاء ابن تومرت الذي عرف كيف يستميل إليه أهل بلاد المغرب، بعد أن عرف نقطة ضعفهم، والمتمثلة في تعلقهم بالمذهب المالكي، حيث أصبح هذا الأخير بالنسبة لهم عقيدة ومذهب[3].

وعلى ضوء ما سبق نستنتج أن معارضة ابن تومرت كانت من أشد المعارضات التي عرفتها الدولة المرابطية، خاصة وأن هذا الأخير سلك أسلوبا فريدا في معارضته هذه، وذلك من خلال طعنه في عقيدتهم، حيث جاء بدعوة مضادة لدعوتهم، كما أنه أعلن ضدهم حربا كلامية، تهدف إلى ضعفهم وهدم دعوتهم.

لكن السؤال الذي يبقى المطروح حول المعارضة في عصر الدولة المرابطية: هل اقتصرت على أنها معارضة سلمية؟ أم أنها تطورت إلى معارضة مسلحة؟

---

[1]- ابن القطان، المصدر السابق، ص 67.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 460.

[3]- نفسه، ص 465.

المبحث الثالث:

المعارضة المسلحة ضد دولة المرابطين

1/ثورة المتصوفة (ابن قسي)

2/ ثورة الفقهاء والأعيان

3/ ثورة الموحدين وتوسعات عبد المؤمن.

المبحث الثالث: المعارضة المسلحة ضد دولة المرابطين

لقد واجهت الدولة المرابطية ثورات وفتن ضدها، بهدف القضاء عليها، فكان المحرك الفعلي لهذه الثورات يختلف باختلاف الأسباب المؤدية لها، فأحيانا كانت الثورات تنبعث من الرغبة في الاستيلاء على السلطة في البلاد، بل وفي بعض الأحيان كان المحرك للثورة نوعا من الجشع والطمع والتنافس في سبيل الوصول للمناصب العليا في الدولة، لكن المستغرب في هذه الثورات هو تسرع أولئك المعارضين للسلطة المرابطية، دون رؤية أو تفكير في عاقبة هذا الأمر، أو فيما تحيط ببلادهم من أخطار، وعليه نطرح التساؤل الآتي: ما هي أهم هذه الثورات؟ وما مدى تأثيرها على الدولة المرابطية؟

1. ثورة ابن قسي:

قبل التكلم عن هذه الثورة، سنحاول إلقاء نظرة عامة على الظروف التي كانت سائدة في بلاد الأندلس، التي أصبحت تحت سيطرة المرابطين بعبور يوسف بن تاشفين، وبالانتصار الكبير الذي حقيقة في موقعة الزلاقة[1]، ومن ثمّ، فإن هذه السيطرة كانت نتيجتها تحقيق انتصارات متتالية، لصالح دولة الإسلام في الأندلس كموقعة أقليش[2].

لكن سرعان ما تحولت إلى هزائم فكان سقوط قاعدة الثغر الأعلى سرقسطة (512هـ/1118م[3])، أكبر برهان لرجحان كفة النصر لصالح الممالك النصرانية، وما صاحبها من الاعتداءات المتواصلة التي شنها النصارى على منطقة الغرب، في مقابل رد محتشم للجيش المرابطي بالأندلس، والذي انتقل أغلبه إلى العدوة المغربية، نظراً لظروف طارئة استجدت على الوضع المرابطي بالمنطقة، والمتمثلة في الحركة الموحدية الآتي ذكرها، وبالتالي أصبحت تُحارب على جبهتين، هذا الأمر أدّى إلى إضعافها[4].

---

[1]- دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص34

[2]- **أقليش:** مدينة من ثغور الاندلس. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص51.

[3]- مؤنس، الثغر الأعلى، ص3.

[4]- دندش، نفس المرجع.

وأمام هذا الوضع السياسي، تراجع اقتصاد الدولة بتقلص الغنائم، نتيجة توقف الغزوات وعمليات الجهاد، لأنه بتوقف هذه الأخيرة يتراجع اقتصادها، خاصة إذا علمنا أن الدولة المرابطية قامت على أساس عسكري، إذ تعتمد على الموارد الحربية لتدعيم كيانها[1]، فاشتدت بذلك الأزمة المالية، التي ضاعفت من التزامات الدولة العسكرية، فلجأت إلى الزيادة في الضرائب[2].

وفي وسط هذه الظروف المضطربة، وجد المتصوفة الفرصة المواتية للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، خاصة وأنها هيّأت الأرضية السياسية والاقتصادية، وحتى الاجتماعية، التي لعبت دور كبير في تطرف سكان منطقة الغرب الأندلسي بزعامة الصوفي ابن قسي، الذي استغل سوء الوضع الضرائبي لكسب تأييد العامة[3]، وهذا ما سنلحظه فيما بعد، لكن الآن سنحاول إعطاء ترجمة لزعيم ثورة المتصوفة.

الزعيم الصوفي ابن قسي:

إنّ الشيء الملفت للنظر، عند محاولتنا إعطاء ترجمة لابن قسي، شح المعلومات المتعلقة بحياته من حيث بدايته، وكيف تصوّف؟ وما التكوين الذي تلقّاه؟

وحسب ما ذكره ابن الأبار، فإن الاسم الكامل لابن قسي هو أحمد بن الحسين، كنيته أبو القاسم، أصله رومي من مدينة شلب، تقلد في بداية حياته بعض وظائف الدولة، فقد شغل منصب مشرف في الأعمال المخزنية في مدينة شلب[4]، بينما نجد ابن الخطيب يذكر أنه مارس وظيفة إدارية إذ يقول: "كان أبو القاسم بن قسي هذا في زمان فتائه وشبيبته مشرفا بشرب من عمل إشبيلية[5]".

---

[1]- بوتشيش، المغرب والأندلس، ص17.

[2]- دندش، نفس المرجع، ص45.

[3]- جدو، المرجع السابق، ص76.

[4]- ابن الأبار، الحلة السيراء، ج2، ص197.

[5]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص249.

أما المؤرخ الألماني أشباخ فيذكر أنه اشتغل في بداية حياته بالتجارة[1]، وعلى الرغم من الاختلاف حول نوعية الوظائف التي تولّاها، إلاّ أنه فيما بعد تزهد وتصدق بماله[2].

وعلى كلّ حال، بعد تزهده المزعوم، طاف في أنحاء الأندلس المختلفة، وعلى الأرجح أنه قصد المرية، والتقى بشيخها ابن العريف، الذي كانت شهرته في تلك الفترة قد عمت أنحاء الأندلس، ثمّ عاد إلى وطنه[3]، وعلى الرغم من عدم وجود نصوص تاريخية تثبت تتلمذ ابن قسي على يد ابن العريف، إلاّ أنّ المراسلات بينهما قد تمّت فعلا، وهي حقيقة ثابتة ضمّنها ابن العريف في كتابه مفتاح السعادة[4].

وقبل التطرق إلى تفاصيل أخرى تتعلق بابن قسي وثورته، يجب الإشارة على الأقل إلى فكره، فمن المعلوم أنّ أهم ما يُميز فكر ابن قسي تبنيه لمذهب الإمام أبي حامد الغزالي[5]، فقد كان مهتما بكتاب الإحياء وبشرحه في مجالسه، والتعقيب عليه والدّفاع عنه أمام الحضور، وان كانت هذه السمة مشتركة بين صوفية المغرب والأندلس على السواء[6].

إذن بعد أن طاف ابن قسي ببلاد الأندلس عاد إلى مدينته شلب، وهناك جمع حوله الكثير من الأتباع والمريدين، إذ يبدو أن الدعوة الصوفية قد لقيت تجاوبنا ملحوظا في غرب الأندلس[7]، وفي هذا يقول ابن الأبار: "ثم انصرف إلى قريته وأقبل على قراءة كتب أبي حامد الغزالي في الظاهر، وهو يستجلب أهل هذا الشّأن محرضا على الفتنة وداعيا إلى الثورة في الباطن...[8]"، أي أنه استغلّ قضية إحراق الإحياء للإمام الغزالي، في جذب العناصر المعارضة للسلطة المرابطية،

---

[1]- أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر محمد عبد الله غنان، ج3، ط2، الخانجي، القاهرة، ص216.

[2]- ابن الأبار، **الحلة السيراء** ، ص197.

[3]- عنان، المرجع السابق، ج3، ص307.

[4]- ابن العريف، المصدر السابق، ص207؛ انظر: الملحق رقم 06.

[5]- ابن الأبار، نفس المصدر، ص197.

[6]– دندش، الأندلس في نهاية المرابطين، ص70.

[7]– جدو، المرجع السابق، ص79.

[8] - ابن الأبار، نفس المصدر، ج2، ص197.

خاصة تلك الفئة التي عارضت عملية الإحراق، وبهذا يكون ابن قسي قد حشد الأتباع والجموع، وأخذ ينتظر الوقت المناسب لإعلان ثورته.

ثورة ابن قسي ونتائجها:

بعد أن عرجنا على المحطات السابقة، نصل الآن إلى الثورة التي تزعمها ابن قسي، فبعد أن عاد هذا الأخير إلى بلده، وتفرغ لنشر دعوته، ادّعى الهداية، وتسمّى بالإمام[1]، وذلك من أجل إضفاء الصبغة الدينية على دعوته من أجل كسب تأييد الأتباع من العامة والأعيان[2] –ليأتي على رأسهم بن الوزير[3]، وابن المنذر[4]–خاصة إذا علمنا أنه في هذه الفترة، كانت العدوة المغربية تعرف اضطرابا شديدا، نتيجة لظهور دعوة ابن تومرت، الذي ادّعى هو الآخر أنه المهدي المنتظر[5].

وهكذا أعلن ابن قسي ثورته ضد الدولة المرابطية، والتي كانت بدايتها الحقيقية في سنة (539هـ/ 1144م)، إذ أول عمل حربي قام به هو الاستيلاء على حصن ميرتلة[6]، وفي المقابل قام كل من أهل يابرة[7]، وأهل شلب، بخلع طاعة المرابطين، الذين حاولوا استعادة الحصن، لكنهم فشلوا، فزاد ذلك حماس ابن المنذر في طرد القوات المرابطية من غربي الأندلس[8].

فسار ابن المنذر بقواته واستولى على حصن مرجيق من أعمال شلب، وتغلب على المرابطين، ثم سار إلى مدينة باجة[9]، وطلب العون من ابن وزير الثائر في يابرة، الذي أمده بقوات، فخشي المرابطون قتال هذه القوات، فطلبوا الأمان من أهل باجة، وأن يسمحوا لهم بالمسير إلى

---

[1]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص197.

[2]- جدو، المرجع السابق، ص81.

[3]- **ابن الوزير**: هو محمد بن سيدراى بن عبد الوهاب بن وزير القسى أبو بكر، أميرا في غرب الأندلس في الفتنة، كان من رجالات الأندلس رجاحة وشهامة. انظر: ابن الأبار، نفس المصدر، ص271.

[4]- نفسه، ص203.

[5]- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص71.

[6]- **حصن ميرتلة**: هو حصن أولي فيه أثار قديمة يقع شرقي مدينة باجة بينهما أربعون ميلا، ويقع على وادي أنة. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص569.

[7]- **يابرة**: بلد في غرب الأندلس من كور مدينة باجة، وهي قديمة. انظر: نفسه، ص615.

[8]– دندش، نفس المرجع، ص74.

[9] - **باجة**: هي كورة بالأندلس قديمة لها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة، انظر، الحميري: نفس المصدر، ص 75.

اشبيلية، فاستجاب أهل باجة للمرابطين، وعلى إثر خروجهم منها، دخلتها قوات ابن المنذر وابن وزير[1].

ثم توجهت جموع المريدين بزعامة ابن المنذر مرة أخرى إلى مدينة لبلة[2]، فهاجمتها واستولت عليها[3]، ثم بلغ ابن المنذر أن مدينة إشبيلية بلا أمير فسار إليها، وفي هذه الأثناء علم القائد المرابطي **يحي بن غانية** بعزمه على إخضاع مدينة إشبيلية، فأرسل إليه قوة من جيشه، فنشبت بين الطرفين معركة، انتهت بهزيمة ابن المنذر، الذي انسحب عائدا إلى لبلة، ومن ثمّ إلى شلب، تاركا يوسف البطروجي بها، فنازله ابن غانية مدة ثلاثة شهور، غير أن هذا الأخير اضطر لرفع الحصار والعودة بعد أن بلغته أنباء قيام ثورة أخرى بقرطبة[4].

وهكذا توالت الأحداث في غرب الأندلس، فكانت في كل مرة انتصارات الثوار المريديون يوما بعد يوم، والحصون تسقط في أيديهم الواحد تلوا الآخر، بمعنى أنه خلال شهور قليلة بسط الثوار سلطانهم على غرب الأندلس كله[5]، لكن الجدير بالذكر أن هناك ظروف طرأت أثناء هذه الأحداث، من بينها الخلاف الذي نشب بين ابن قسي وقادته، وما يهم من هذا الخلاف هو خلع ابن الوزير طاعة ابن قسي في (540هـ/1145م)، واستيلائه على شلب وميرتلة، فانقسمت بذلك قوات ابن قسي[6].

بالإضافة إلى أن هناك ظروف أخرى طرأت على الساحة الأندلسية، والمتمثلة في ثورة الفقهاء والأعيان–الآتي ذكرها في حينها–فقد رأى فيهم ابن قسي منافسين له على الزعامة، عندها لجأ إلى حليف جديد وهو قائد الموحدين، مطبقا مقولة "عدو العدو صديق"، خاصة بعد

---

[1] - ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص203.

[2] – **لبلة**: مدينة قديمة في غربي الأندلس بها ثلاث عيون تبعد عن طيلطلة عشرين مرحلة وعن إشبيلية أربعيين مرحلة. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص164.

[3] – دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص 74.

[4]– ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص ص204–206.

[5]- أشباخ، المرجع السابق، ص217.

[6]- جدو، المرجع السابق، ص 84.

اشتداد ضربات المرابطين من جهة، ومزاحمة الفقهاء القادة من جهة أخرى[1]، لكن تحالف ابن قسي مع الموحدين لم يدم طويلا[2]، لأنه بتحالفه مع الموحدين انقلب عليه أنصاره، الذين تحولوا عنه، وانظموا إلى المرابطين[3].

وهكذا أصبح ابن قسي في عزلة تامة، خاصة بعد أن خلع ابن الوزير دعوته، ودعا لزعيم ثورة قرطبة، وبالتالي أدّت هذه الأوضاع إلى إضعاف موقفه من جهة، ومن جهة أخري حتّمت عليه التحالف مع النصارى، وهذا ما زاد الطين بلة، حيث أثار هذا الأمر حفيظة من بقي معه من الأنصار في شلب، فثاروا عليه، واتّفقوا على اغتياله سنة (546هـ/1151م) [4].

وعلى ضوء ما سبق، يتضح لنا أن ابن قسي لبس قناع التصوف من أجل تحقيق أهدافه ومآربه في الوصول إلى السلطة، وأيضا استغل قضية إحراق الإحياء للإمام الغزالي في حشد الأتباع والجموع، كما أنه ادعى الهداية وتسمّى بالإمام، تأثراً بمهدي الموحدين ابن تومرت، نظرا لما حققته دعوة هذا الأخير من انتشار واسع، خاصة في العدوة المغربية، لكن رغم الفشل الذي مُنّي به ابن قسي، إلاّ أن معارضته ساهمت في زعزعة أركان النظام المرابطي، من خلال تأثر بقية مناطق الأندلس بثورته، وهذا ما سنوضحه الآن في ثورة الفقهاء والأعيان.

---

[1]- جدو، المرجع السابق، ص85.

[2]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص200.

[3]- بوتشيش، **المغرب والأندلس**، ص170.

[4]- نفسه، ص ص170-171.

2. ثورة الفقهاء والأعيان:

انعكست الأحداث التي كانت تعيشها الدولة المرابطية، سواء في العدوة المغربية بظهور حركة ابن تومرت، أو في العدوة الأندلسية باندلا ع ثورة المريدين، على موقف الرأي العام خاصة في بلاد الأندلس، إذ كان له رد فعل عنيف على الحكم المرابطي، بحيث اتخذ شكل ثورة عارمة، اجتاحت جل المدن الأندلسية، وعلى رأسها قرطبة، لكن الشيء الملفت للنظر، ليس توقيتها وسرعة اشتعالها فقط، بل أيضا أن الذي تزعم هذه الثورات هم الفقهاء والقضاة، الذين كانوا يحتلون مكانة مرموقة في الدولة المرابطية، وهنا يتبادر إلى أذهاننا سؤال وجيه: لماذا سلك الفقهاء مثل هذا النهج – الثورة– في معارضتهم؟ وما هو الدافع الحقيقي وراء إعلانهم الثورة ضد النظام المرابطي؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، سنعرج قليلا على أهم هذه الثورات وزعمائها، انطلاقا من المجال الجغرافي، باعتبار أنها كانت في وقت واحد، وأيضا من ناحية التأثر والتأثير، فقد تكلمنا عن ثورة المتصوفة في الغرب الأندلسي، والتي كانت لها تأثيرا على باقي المناطق الأندلسية كمنطقة الوسط، التي انطلقت فيها الثورة من مدينة قرطبة، خاصة إذا علمنا أن أهلها ينتهزون أي فرصة للشغب فيثورون، ومثال ذلك ما ذكرناه سابقا عن الحوادث التي كانت سنة 514هـ.

لتُتيح لهم الفرصة مرة أخرى بابتعاد الأمير أبو زكرياء يحي بن غانية عن قرطبة، بقواته اتجاه إشبيلية لحمايتها من عبث المريدين، فثارت العامة، الذين خلعوا سلطان المرابطين[1]، وفي المقابل اتفقوا على مبايعة القاضي أبي جعفر بن حمدين[2]، وكان ذلك في (539هـ/1144م)، حيث سكن قصر الإمارة، وتلقب بأمير المسلمين وناصر الدين[3]، كما قام أهل قرطبة بمطاردة المرابطين

---

[1]- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص76.

[2]- **أبو جعفر بن حمدين**: هو أحمد بن محمد بن أحمد التغلبي، ولي القضاء، بعد أخيه بقرطبة سنة 529هـ، عزله الأمير علي بن يوسف، ثم أعيد مرة أخرى إلى القضاء في 536هـ، وظل في منصبه حتى 539هـ، وكانت وفاته بمالقا 546هـ. انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ج2، ص ص228-229.

[3]- نفسه، ص229 .

الموجودين بالمدينة، فلما بلغ ذلك ابن غانية عاد أدراجه مسرعا، وفك الحصار على المريدين بلبلة[1].

لكن قرطبة في الواقع كانت منشقة على نفسها، فبعضها كان يؤيد ابن حمدين ويُقر رياسته، والبعض مازال على ولائه للمرابطين، وفريق آخر كان يرى استدعاء سيف الدولة بن هود[2]، ونظرا لانقسام أهل قرطبة إلى شيع وأحزاب كل حسب أهوائه وأطماعه، انتهى حكم ابن حمدين الذي لم يدم سوى أربعة عشر يوما[3]، وكان ذلك بعد أن تمكن سيف الدولة أحمد بن هود -بمساعدة ألفونسو ملك قشتالة- من إغراء أهل قرطبة بالوعود والعطايا، للتخلي عن دعوة ابن حمدين، الذي اضطر للفرار إلى حصن فرنجولس الواقع شمال قرطبة، بعد أن خُلع من منصبه، وفي المقابل نودي بسيف الدولة على قرطبة باسم المستنصر بالله[4].

لكن حكم هذا الأخير لم يدم طويلا، إذ سرعان ما تغير عليه القرطبيون بسبب تحالفه مع النصارى، فهاجموا قصر الإمارة وفتكوا بعدد كبير من أصحابه، هذا الأمر اضطره للفرار ناجيا بنفسه[5]، والذي أحدث هذا الانقلاب هم أنصار ابن حمدين، لأن هذا الأخير عاد إلى المدينة في ذي الحجة (539هـ/1145م)، ونودي به للمرة الثانية أميرا على قرطبة، وفي تلك الأثناء استطاع ابن حمدين أن يبسط حكمه على العديد من المناطق المجاورة، وكذلك مرسية لمدى قصير، كما عمل على تحريض أهل غرناطة -التي كانت لا تزال تحت سلطان المرابطين- ليثوروا على النظام القائم[6].

1- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص77.

2- **بن هود:** هو أحمد بن عبد الملك بن هود، الملقب بالمستنصر بالله، آخر من بقي من بني هود. انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج2، ص 173؛ ابن سعيد، المصدر السابق، ص438.

3- أشباخ، المرجع السابق، ص211.

4- دندش، نفس المرجع، ص78.

5- نفسه.

6- أشباخ، نفس المرجع، ص ص211-212.

بالإضافة إلى أن ابن حمدين كاتب زملاءه من القضاة، يطلب منهم الاعتراف برئاسته والدخول في طاعته، ومن بين الذين استجابوا له قاضي مرسية ابن جعفر[1]، وقاضي غرناطة ابن أضحى الهمداني[2]، الذي قام بدعوة ابن حمدين وتابعه أهل بلده، وأخرجوا الملثمين من المدينة، فتحصنوا بالقصبة ونشب قتال بين الطرفين مدة من الزمن[3].

وبذلك اشتد الصراع في غرناطة، خاصة بعد أن فر إليها ابن هود، الذي تعاون مع ابن الأضحى لقتال المرابطين[4]، وفي المقابل توالت غارات المرابطين على قوات ابن هود وابن أضحى، الذي توفي في تلك الأثناء، فخلفه ابنه أبو بكر في أول عام (540هـ/1145م)[5]، وقد وصلتهم إمدادات من شرقي الأندلس، أي من قبل حليفهم أبي جعفر قاضي مرسية، إلا أن المرابطين خرجوا إليهم، وهزموا قوات ابن أضحى، وقتل حليفه ابن أبي جعفر، ولم ينجوا منهم إلا القليل[6].

وكان نتيجة هذا الانتصار عودة الملثمين للتحصين بالقصبة مرة أخرى، وأيضا خروج سيف الدولة من غرناطة–خاصة بعدما تكاثرت عليه شكاوي الناس ومظالمهم من كثرة المغارم، فحاولوا القيام عليه، ليجد بذلك ابن أضحى(الابن) الفرصة المواتية ليستقل بأمر غرناطة، غير أن هذا الأخير هو الآخر لجأ إلى الفرار بعد ثمانية أيام، وبفراره تصالح أهل غرناطة مع المرابطين، وكان قائدهم آنذاك هو ميمون بن يدر بن ورقاء، الذي أقام بها إلى أن سلّمها للموحدين سنة (551هـ/1156م) [7].

---

[1]- **ابن جعفر**: هو عبد الرحمن بن جعفر بن أحمد المعافري، المكنّى بأبي محمد، في 528هـ استدعي للكتابة بحضرة مراكش، فنهض إليها، وانتهض بها، ثم استعفى، فأعفي وانصرف إلى مرسية هاجرا خدمة الأمراء. انظر: ابن الأبار، **المعجم**، ص233.

[2]- **ابن أضحى**: هو علي بن عمر بن أضحى من همدان، ولي قضاء ألمرية ثم صرف، وفي سنة 539هـ خاطبه ابن حمدين، وهو آنذاك بغرناطة. انظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص ص211-212.

[3]- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص80.

[4]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص213.

[5]- نفسه، ص215.

[6]- أشباخ، المرجع السابق، ص212.

[7]– دندش، نفس المرجع، ص 81.

وأيضا من بين المدن التي اندلعت فيها الثورة، نجد مدينة مالقة، التي ترأسها القاضي أبو الحكم بن حسون[1]، هو الآخر دعا إلى نفسه لما تكاتبت القضاة، واستبد بالأمر، وحاصر المرابطين في القصبة، وشدد عليهم الحصار، حتى اضطرهم للخروج وتسليم القصبة له بعد ستة أشهر، فدخلها وتلقّب بالأمير، وجمع في يده منصب الإمارة والقضاء[2].

لكن رغم هذا فقد كان للمرابطين ردة فعل من خلال محاولتهم استرجاعها، وذلك بمهاجمة الحصون المجاورة[3] كحصن أنتقيرة[4]، وواصلوا الغارات عليه، حتى ألجأه ذلك لاستدعاء جيوش الروم، ولزمه المال، فأضاق الرعية بكثرة الضرائب، فكرهوه وشرعوا في التدبير عليه، لينتهي أمره بانتحاره في ربيع الأول سنة (548هـ/1153م)[5].

هذه هي أهم الثورات التي اجتاحت وسط الأندلس، والتي كانت لها تأثير على مناطق الشرق الأندلسي كمدينة بلنسية[6]، التي اعتنى بها المرابطون عناية خاصة، لموقعها الدقيق على مقربة من الثغر الأعلى والممالك النصرانية، ويتضح اهتمام المرابطين بها من خلال اختيار خيرة الرجال ليكونوا على رأس ولايتها، كأمير مزدلي، وتميم بن يوسف وأبو زكرياء يحي بن غانية وغيرهم[7].

وعليه كان لاضطراب الأمور بالأندلس وضعف المرابطين أثر بليغ على الأوضاع في مدينة بلنسية التي كان على رأسها الأمير عبد الله بن غانية[8]، أما قاضيها فهو ابن عبد العزيز[9]، فنظرا إلى

---

[1]- **أبو الحكم بن حسون:** هو الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حسون، اشبهر بكنيته، تولى القضاء بمالقة سنة 538هـ. انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ج2، ص 230.

[2]- **نفسه**، ص 230.

[3]- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين** ، ص82.

[4]- **حصن أنتقيرة:** حصن بين مالقة وغرناطة. انظر: الحموي، المصدر السابق، مج1، ص 259.

[5]- ابن الخطيب، نفس المصدر، ص 231.

[6]- **بلنسية:** مدينة مشهورة بالأندلس، تقع شرقي قرطبة، تعرف بمدينة التراب. انظر: الحموي، نفس المصدر، مج1، ص490.

[7]- دندش، نفس المرجع، ص84.

[8]- **عبد الله بن غانية:** كنيته أبو محمد، وهو ابن أخ أبي زكرياء بن غانية. انظر: ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص 218.

[9]- **ابن عبد العزيز:** هو عبد الملك بن مروان بن محمد بن عبد العزيز أبو الحسن، تولى القضاء ببلنسية سنة (538هـ/1143م). انظر: ابن الأبار، **المعجم**، ص 213.

هذه الظروف الحرجة، التي كانت تجتازها دولة المرابطين، اجتمع والي بلنسبة عبد الله بن غانية بالقاضي ابن عبد العزيز في المسجد الجامع، لنبذ الخلاف في هذه الفترة العصيبة، ومذكرين الناس بجهاد المرابطين للنصارى، واستنقاذهم بلنسية، مع حثهم على الوفاء للمرابطين، والتمسك بدعوتهم[1].

لكن هذا التحالف بين الأمير والقاضي لم يدم طويلا، لأن عبد الله بن غانية وصله من القول–عن القاضي ابن عبد العزيز وغيره– ما أزعجه، فاضطره ذلك أن يبعث عياله وأثقاله إلى شاطبة[2] وظل هو ببلنسية، إلى أن دار بينه وبين جنده مشادة، انتهت بفراره مع قومه إلى شاطبة، ومن هناك أغارت خيله على بلنسية، وتظلم الناس إلى ابن عبد العزيز[3].

وهكذا وبعد خروج الأمير من بلنسية، طلب الجند ووجوه البلاد من القاضي التأمّر عليهم، لكن هذا الأخير أظهر التمنع، لكي لا يظهر بمظهر الطامع في السلطة[4]، حيث قال: "اختاروا من شيوخكم من تقدمونه"، فاتفقوا على بعض اللمتونيين الباقين ببلنسية بعد فرار عبد الله بن غانية، غير أن الوالي الجديد لم يلبث أن فر هو الآخر مع أتباعه الباقين نحو شاطبة، حينئذ وقع الإجماع على ابن عبد العزيز[5]، لكن رغم ذلك هناك من القضاة من رفض بيعته، تمسكا ببيعة المرابطين، أومن باب التحوط وعدم الدخول في الفتنة[6]، ومن هؤلاء نجد القاضي جعفر بن الحسين بن الحسن الأزدي، الذي رفض بيعة ابن عبد العزيز قائلا: "والله لا أفعل وبيعة تاشفين في عنقي"[7].

---

[1]– دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص ص 86-87.

[2]– **شاطبة:** مدينة في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة قديمة. انظر: الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص309.

[3]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص219.

[4] – دندش، نفس المرجع، ص87.

[5]- ابن الأبار، نفس المصدر.

[6]- دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص88.

[7]– النباهي (أبو الحسن بن عبد الله): **تاريخ قضاة الأندلس**، تح، لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م، ص 16.

وأول ما قام به ابن عبد العزيز عند توليه بلنسية، هو تشديد الحصار على أهل شاطبة، فاضطر عبد الله بن غانية للخروج منها، ولحق بالمرية، ومن هناك إلى جزيرة ميورقة ليلحق بأبيه الذي كان واليا عليها، وبذلك تملك ابن عبد العزيز شاطبة، كما اتسعت طاعته إلى أن ضاقت جبايته وكرهته رعيته، وثار عليه الجند في جمادى الأولى من سنة(540هـ/1145م)[1].

وأيضا من المدن التي نشبت بها الثورة مدينة مرسية، فأول من ثار بها هو أبو محمد بن الحاج[2]، الذي دعا لابن حمدين بقرطبة أياما من شهري شوال ورمضان من سنة (539هـ/1145م)، لكنه أحب الانخلاع مما قُلّد[3]، والذي تولى الإمارة بعده الفقيه القاضي أبو جعفر محمد بن أبي جعفر الخُشني، الذي كان يقول في بداية الأمر: "ليست تصلح لي، ولست لها بأهل، ولكني أريد أن أمسك الناس بعضهم عن بعض حتى يجيء من يكون لها أهلا"[4].

لكن سرعان ما ظهر من أبي جعفر حب الرئاسة، فحشد الناس لقتال الملثمين بأوريولة[5]، وغدر بهم عند نزولهم على الأمان فقتلهم، وبعد انعقاد البيعة له دعا لنفسه، ولقب بالأمير الناصر لدين الله، لكن حكمه لم يدم طويلا، لأنه عندما توجه إلى شاطبة لإعانة ابن عبد العزيز في حصار الملثمين، ثارت العامة بمرسية، فعاد إليها في سفر سنة (540هـ/1145م)، وبعدها توجه إلى غرناطة[6]، أين التقى بالملثمين، فهزموا جموعه وقتلوه، وكان ذلك في ربيع الأول من نفس السنة[7].

---

[1]- ابن الخطيب، **أعمال الأعمال**، ج2، ص ص231 232.

[2]- **ابن الحاج**: هو عبد الرحمان بن جعفر بن إبراهيم بن أحمد المغافري، المكنى بأبي محمد بن الحاج، من أهل لورقة، وسكن مرسية، استدعى للكتابة في مراكش سنة 528هـ، ثم استعفى فأعفي، وانصرف إلى مرسية، هاجرا خدمة الأمراء. انظر: ابن الأبار، **المعجم**، ص233.

[3]- نفسه، ص234.

[4]- نفسه، ص228.

[5]- **أوريولة**: حصن بالأندلس، وهو من كور تدمير، وهي مدينة قديمة أزيلة، كانت قاعدة العجم وموضع مملكتهم. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص67.

[6]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج2، ص 229.

[7]- ابن الخطيب، نفس المصدر، ج2، ص233.

وهكذا ظلت الأحداث تتوالى وتتطور في منطقة الشرق، التي عرفت مد وجزر بين مؤيد ومعارض للدولة المرابطية، إلى أن ترأسها الأمير ابن مردنيش[1] وبتوليه هذا الأخير الأمر في شرق الأندلس، تغير الوضع في هذه المنطقة، إذ حمل راية المرابطين والدفاع عنها، إلى غاية وفاته سنة(567هـ/1171م) [2].

بعد أن عرجنا على أهم الثورات في بلاد الأندلس وزعمائها، سنحاول الإجابة على السؤال الذي طرحناه في البداية، والمتمثل في الدوافع الحقيقية وراء إعلان الفقهاء والقضاة الثورة ضد المرابطين، ولعل أهم هذه الدوافع هو الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية ونفوذهم الذي تمتعوا به، في ظل الدولة المرابطية، ولما أحس هؤلاء الفقهاء بانهيار هذه الدولة، طمعوا في الحكم، فحاولوا إشعال الثورات المحلية في المدن، لكي يحتفظوا برياستهم، وبسلطانهم المحلي، بالإضافة إلى خشيتهم من ضياع أموالهم، خاصة إذا علمنا أن أمور المسلمين كانت راجعة إليهم، فكثرت بذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم، لذلك لم يكن من الغريب أن ينقض الفقهاء الملاك على السلطة السياسية حفاظا على ملكياتهم[3].

وفي الأخير نستنتج أن أهم ما ميز هذه الثورات، أنها اجتاحت جل المدن الأندلسية، كما أن اندلاعها كان في وقت واحد، بالإضافة إلى أن زعماءها كان أغلبهم من الفقهاء، الذين كانوا يحتلون مكانة مرموقة في الدولة المرابطية، لكنهم عندما شعروا بضعفها، وأنها على وشك الانهيار، عملوا على معارضتها، من أجل الحفاظ على مكانتهم وسلطتهم المحلية، وأيضا الحفاظ على مكاسبهم وثرواتهم.

وأيضا نستنتج على ضوء ما سبق، أن الفقهاء والأعيان لم يكونوا كلهم ضد الدولة المرابطية، بدليل أن هناك من عارض الثوار من خلال رفضهم مبايعتهم وتأييدهم، كما نستنتج أن الثورة في شرق الأندلس، اختلفت عن الثورات الأخرى، التي كانت في وسط وغربي الأندلس، لأن هذه

---

[1]- **ابن مردنيش:** هو أبو عبد الله محمد بن سعيد بن مزدنيش، كان أبوه سعد أمير أفراعة وما ولاها من ثغور شرق الأندلس. انظر: ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص 234.

[2]- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص 94.

[3]- نفسه، ص ص 95 96.

المنطقة رغم الاضطرابات، إلا أن أغلب أعيانها وسكانها، ظلوا مؤيدين للدولة المرابطية، بحيث حاملوا رايتها حتى بعد سقوطها.

لكن السؤال المطروح هنا هل انطلاق المعارضة المسلحة كان من العدوة الأندلسية، أم من العدوة المغربية؟ هذا ما سنحاول الإشارة إليه في العنصر الأخير من هذه الدراسة.

3. ثورة الموحدين وتوسعات عبد المؤمن:

تناولنا في المبحث السابق المعارضة السلمية لابن تومرت ضد دولة المرابطين، والتي كانت عبارة عن حرب دعائية ونفسية، تهدف إلى إضعافهم وهدم دعوتهم، لكن ما لبثت الأوضاع حتى فُتح منحنى جديد، اتّسم بالدموية والصراع مع المرابطين، ليتضح لنا أن الحرب الكلامية التي شنّها ابن تومرت، كان الهدف منها منذ البداية، تعبئة الناس ضد المرابطين، وعزل الحكام عن العامة بفضح سياستهم، وتضخيم أخطائهم، تمهيدا لنزع ولائهم، وذلك كله ليستدرجهم إلى حرب يستطيع أن ينتصر فيها، وبالفعل نجح ابن تومرت في ذلك !! ليبقى السؤال المطروح هنا: كيف تمكن ابن تومرت من إعلان ثورة ضد دولة عُرفت بجهادها وبحكامها الذين اشتهروا بالصلاح والدين؟

أعلن ابن تومرت الثورة ضد الدولة المرابطية بعد أن ادّعى بأنه المهدي المنتظر في (515هـ/1121م)[1]، حينما ألقى خطبته[2] عند مبايعته إماما على الموحدين، فكان ذلك سببا في التفاف العديد من القبائل حوله، خاصة قبيلة مصمودة، التي عمل على تحريك نفوس أهلها للتطلع إلى إنشاء دولة لهم، لأنهم قبائل ضخمة ذات قوة وعدد، ولا ينقصها إلا توحيد الصفوف والقيادة السليمة، كما أقنعهم بأنهم القيادة المثلى لهذه القبائل[3].

وعندما بلغ لعلي بن يوسف أنباء ابن تومرت أدرك مدى الخطأ الذي وقع فيه، بتركه طليقا ينشر دعوته، ويثير بلاد المغرب بآرائه المتطرفة، فعزم على البدء في ضرب الحركة الموحدية، وسار بجيش قاده أبو بكر بن محمد اللمتوني والي السوس، ونزلوا في مكان وعر على الجانب الشرقي من جبل انجليز، فعلم ابن تومرت بذلك، وجهز جيشا لمقاتلته، فدارت حرب بينهما انتهت بهزيمة المرابطين[4].

---

[1]- الصلابي، **دولة الموحدين**، دط، مكتبة الإيمان، المنصورة، ص37.

[2]- أنظر الملحق رقم: 07.

[3]- الصلابي، نفس المرجع، ص80.

[4]- عنان، المرجع السابق، ص177.

ثم دارت بينهما معركة أخرى، انتهت بنفس النتيجة، وهذه المرة كان على رأس الجيش المرابطي أخوه أبو إسحاق إبراهيم، وعند سماع علي بن يوسف بهذه الهزيمة، جهز جيشا آخر، قدم عليه القائد سير اللمتوني ابن مزدلي فهزموه أيضا، وقتلوا كثيرا ممن كان معه[1]، بالإضافة إلى غزوات، بلغت نحو تسع غزوات متتالية كانت ضد المرابطين، استطاع من خلالها بن تومرت أن يبسط سلطانه على منطقة السوس كلها[2]، فكانت لتلك الانتصارات المتوالية التي حققها الموحدون، أثرها الكبير في إدخال الذعر والرعب في نفوس المرابطين[3].

وفي المقابل ذاع أمر المهدي، وكثرة أتباعه، فعظمت ثقته وقوته، فكان من أثر هذه الثقة أن أرسل ابن تومرت إلى المرابطين رسالة[4] يدعوهم فيها إلى طاعته، وينذرهم فيها بسحقهم إذا لم يستجيبوا[5]، فكانت هذه الرسالة عبارة عن إعلان للحرب بين المرابطين والموحدين، حيث اشتد الصراع بين الطرفين في سنة (520هـ/1126م) عندما عزم المهدي على غزو لمتونة، فجمع الذين أسماهم بالموحدين، تمكنوا من هزيمة الجيش المرابطي، وعدها اتجهوا إلى أغمات فالتقوا مع جيش بكر بن علي بن يوسف وإبراهيم بن تاعباست، فهزموهم وأتبعوهم إلى مراكش[6].

فاستغل الموحدون هذه الفرصة، وحاصروا مراكش مدة أربعين يوما، فتوالت المعارك، وكان بها حينئذ أحد رؤساء ثغور الأندلس يدعى عبد الله بن همشك، الذي خرج بمن معه من أصحابه لقتال الموحدين، فتشوف على أحوالهم وكيفية قتالهم[7]، وبعدها نشبت معركة بين الفريقين، سميت بمعركة البحيرة –وهي موضع في ظاهر مراكش–[8] وفيها انكسر الجيش الموحدي أمام الجيش

---

[1] – ابن الخطيب، **الحلل الموشية**، 81.

[2]– عنان، المرجع السابق، ص 180.

[3]– ابن الخطيب، نفس المصدر، ص82.

[4]– انظر: الملحق رقم 08.

[5]– عنان، نفس المرجع، ص179.

[6]– الزركشي، المصدر السابق، ص 07.

[7]– ابن الخطيب، نفس المصدر، ص ص84-86.

[8]– السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 294.

المرابطي[1]، حيث لم ينج منه إلا اليسير، قيل أربعة من أصحاب المهدي، ومعهم عبد المؤمن[2]، ولم تمضي أيام على هذه الحادثة حتى توفي المهدي في يوم الخميس 25 رمضان 524هـ / 1131م[3]، وكتم أصحابه نبأ وفاته ولم يعلم بذلك أحد[4].

توسعات عبد المؤمن:

والذي خلف ابن تومرت على زعامة الموحدين هو عبد المؤمن بن علي، وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن بيعة هذا الأخير في بداية الأمر كانت سرية، لأن موت المهدي ظل في الخفاء أكثر من سنتين[5]، وقام بها أصحاب المهدي فقط، أما البيعة الثانية (العامة)، فبايعه الموحدون كافة[6]، وبعد أن تمت له البيعة، أخذ ينظم شؤون الموحدين، ويؤلف قلوبهم، ويحفزهم على الجهاد، ولما تم له ذلك قرر أن يستأنف حربه ضد المرابطين، وبعد التشاور والبحث اتفق الموحدون على أن تكون أولى غزاتهم تادلة[7]، وبعدها خرج خليفة ابن تومرت من تينملل[8] سنة (526هـ/1132م) بجيش ضخم بلغ عدده نحو ثلاثين ألف مقاتل[9]، ودخلوا حصن تازاجورت الذي كان يحي بن مريم الزرجاني واليا عليها، فقتل هو ومن كان معه من المرابطين[10]، ثم بعدها توجه إلى درعة[11]، واستولى عليها ثم غزى سائر المنطقة وعاد إلى تينملل[12].

---

[1]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 179.

[2]- ابن الخطيب، **الحلل الموشية**، ص86.

[3]- ابن أبي زرع، نفس المصدر، ص179.

[4]- ابن الخطيب، نفس المصدر.

[5]- حسن (إبراهيم حسن): **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج4، ط14، دار الجبل، بيروت، 1996، ص208.

[6]- ابن أبي الزرع، نفس المصدر، ص186.

[7]- **تادلة**: تقع في بلاد المغرب، وهي مدينة قديمة، حصنها منيع بناها المرابطون. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 137.

[8]- الزركشي، المصدر السابق، ص7.

[9]- عنان، المرجع السابق، ص 225.

[10]- ابن القطان، المصدر السابق، ص ص225-229.

[11]- **درعة**: تقع بالمغرب في جهة سجلماسة، وتعرف بواديها. انظر: الحميري، نفس المصدر، ص25.

[12]- عنان، نفس المرجع، ص225.

وفي نفس السنة سيطر على حصن تاسغيموت المنيع، كما سيطرة على حصن جلاوة، وتمّ ذلك على يد أحد جماعة الموحّدين وهو أبو حفص عمر ابن يحي[1]، حيث دخلها عنوة وقتل كلّ من فيها[2]، وأيضا بسط سلطانه على حصن هزرجة، ومدينة جشجال التي أحرقها، كما أنه في هذه السنة أي (526هـ/1135م) دخلت في طاعته كل من قبيلة هزرجة وهسكورة، ثمّ عادوا إلى العصيان[3].

والجدير بالذّكر أنّ عبد المؤمن قضى وقتا طويلا في محاربة المرابطين، في منطقة السّوس بالمغرب الأقصى، والّتي كان يغلب عليها الطّابع القبلي، والغالب أنّ المرابطين لم يكونوا مدركين أنّ حركة الموحّدين حركة خطيرة وجب الخوف منها والقضاء عليها، خاصّة بعد أن هزموهم في معركة البحيرة عام (524هـ/1130م) فاستخفّوا بالموحّدين[4]، ويبدو أنّ هذه الحروب كانت عبارة عن مناوشات طفيفة، ولكن بعد هذه السّنة دخل الموحّدون والمرابطون في صراع طويل انتهي بسقوط دولة المرابطين.

إذن بعدما تمكّن عبد المؤمن من الاستيلاء على منطقة جبال الأطلس، قام بغزوته الطّويلة ضدّ المرابطين، والّتي استمرّت سبع سنوات[5]، وفي هذا الصدد يذكر الزركشي في كتابه "تاريخ الدّولتين الموحّديّة والحفصيّة" أنّها من سنة(534-541هـ/1139-1146م)[6]، أما أسلوب عبد المؤمن الحربي فقد اعتمد على الجبال الوعرة، ولم يخاطر بالنّزول إلى السّهول، وهذه الطّريقة كانت

---

[1] -**أبو حفص**: هو عمر يحي الهنتاني الذي كان يعرف بعمر أينتى، وهو من أهل الجماعة، وشارك في تأسيس الدولة الموحدية وتوسيع مناطق سلطانها بالمغرب والأندلس، توفي بالطاعون عام 571م. انظر: البيدق، المصدر السابق، ص37.

[2]- ابن القطّان، المصدر السابق، ص22 .

[3]- عنان، المرجع السابق، ص226.

[4]- بن قربة (صالح): **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**، د ط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007م، ص ص35-36.

[5]- نفسه، ص ص36 37.

[6]- الزركشي، المصدر السابق، ص7.

مناسبة للموحّدين وظروفهم العسكريّة، في حين أنّ المرابطين لم يغيّروا من خطتهم الحربيّة، فنادرا ما نزلوا وتركوا السّهل[1].

ومن غزوات عبد المؤمن للمرابطين تلك التي كانت في تلمسان ووهران وفاس ومراكش، فالبداية كانت باتجاه تلمسان، حيث خرج كل من عبد المؤمن من تينملل، تاشفين بن علي بن يوسف من مراكش[2]، فالتقى الطّرفان بين المضائق والجبال وهناك اقتتلا، وكانت نتيجة هذه المعركة هزيمة المرابطين، ودخول غمارة في طاعة الموحدين[3]، وفي هذه الأثناء توفي علي بن يوسف سنة (537هـ/1142م) فخلفه ابنه تاشفين، وحدث خلاف بين قبيلتي لمتونة ومسوفة المرابطيتين، فانضمت مسوفة إلى الموحدين[4].

وفي سنة (533هـ/1138م) دخل الموحدون تلمسان بعد محاصرتهم لها، وفي هذه الأثناء فرّ الأمير المرابطي تاشفين إلى وهران قاصدا الأندلس، وفي أثناء محاولته الفرار تعثّر به فرسه من حافة الجبل، فسقط ومات سنة (539هـ /1144م)، وبذلك تمكن عبد المؤمن من غزو وهران وتلمسان في نفس السنة[5]، ثمّ اتجه إلى مدينة فاس، فلاقاهم يحي بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين المعروف بالصحراوي، لكنه انهزم وانسحب إلى فاس، فحاصرها الموحدون، وتمّ غزوها بعد تسعة أشهر من الحصار[6]، أي سنة (540هـ/1146م)[7].

ثم اتجه عبد المؤمن بن علي صوب مراكش، وكان جيش أبو حفص قد ذهب لغزو برغواطة، التي تمكن من إخضاعها، فالتقى الجيش الموحدي في مراكش، التي كان عليها إسحاق بن علي بن يوسف، فضرب الموحدون حصارا عليها، ومع طول فترة الحصار والجوع، برز المرابطون الذين كانوا

---

[1]- بن قربة، المرجع السابق، ص37.

[2]- الزركشي، المصدر السابق، ص7.

[3]- ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب (قسم الموحدين)**، تح محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة، بيروت، المغرب، 1985م، ط1، ص ص15 16.

[4]- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص696.

[5]- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص187.

[6]- السيد عبد العزيز سالم، نفس المرجع، ص ص697، 698.

[7]- البيذق، المصدر السابق، ص63.

بقيادة إسحاق بن علي للمدافعة، لكنّ انزلوا بهم هزيمة نكراء، وكان هذا في أواخر شوال (541هـ/1147م)[1]، وبمقتل إسحاق بن علي آخر أمراء المرابطين، سيطر عبد المؤمن بن علي على جميع بلاد المغرب[2]، وهكذا قضى على آخر معاقل المرابطين، بسقوط مراكش، لتنتهي بذلك حرب سبع سنوات[3].

وعليه نستنتج أن معارضة الموحدين، كانت من أشد وأقوى المعارضات التي واجهتها الدولة المرابطية، لأنها سلكت أسلوبا مغايرا في تعاملها مع السلطة المرابطية، ففي البداية كانت عبارة عن حرب دعائية نفسية تزعمها محمد بن تومرت، الذي ما لبث أن أعلن معارضته المسلحة ضدها، وبعد وفاة هذا الأخير، خلفه عبد المؤمن الذي تمكن بدهائه وذكائه وحنكته السياسية من إسقاط دولة، كدولة المرابطين، التي عرفت بأنها دولة جهاد.

[1] – ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 310.

[2]– الزركشي، المصدر السابق، ص 07.

[3] – بن قربة، المرجع السابق، ص 43.

خـاتـمـة

خاتمة:

وفي نهاية هذه الدراسة نخلص إلى أن المعارضة هي كل من عارض السلطة الحاكمة، سواء كان باللسان أو بالقلم أو بالسلاح، وبالتالي فهي نوعين: معارضة سلمية ومعارضة مسلحة، وقد وردت آيات قرآنية وأحاديث نبوية، يدور معناها حول المعارضة، بحيث أنها لم تنص عليها كلفظ ولكنها تناولتها كموضوع، باعتبار أن المحور الأساسي الذي تقوم عليه المعارضة في الإسلام هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا إن دلّ فإنه يدل على أن المعارضة كانت موجودة قبل العهد المرابطي، بل كانت حتى في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم-كما سبق الذكر-ولكنها كانت فردية.

باعتبار أن البدايات الأولى لظهور المعارضة، كانت في عهد الخلفاء الراشدين خاصة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، لتظهر بشكل جدي في عهد الدولة الأموية بمختلف أشكالها، أما في العصر العباسي فقد تطورت المعارضة بشكل كبير، حيث تمكنت بعض الحركات المناوئة للسلطة العباسية كالشيعة والخوارج، من الوصول إلى مسعاها في تأسيس كيانات سياسية لها، خاصة في بلاد المغرب الإسلامي، وبالتالي فإن عنصر المعارضة وظاهرة القيام ضد السلطان كانت موجودة حتى في الزمن الأول، وبقيت مستمرة فيما بعد، وهو ما وجدناه عند الاطلاع على تاريخ الدولة المرابطية.

هذه الدولة التي قامت على أساس ديني، بزعامة عبد الله بن ياسين وبعض الأمراء الملثمين، أمثال أبو بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين، معتمدين على المذهب المالكي في دعوتهم الإصلاحية، وبالتالي فهي قامت على أكتاف قبائل صنهاجة الجنوب، خاصة "لمتونة، جدالة، مسوفة"، وهكذا تأسست هذه الدولة، التي اشتهرت بأنها دولة جهاد وإصلاح، كما أن هناك من أطلق عليها اسم دولة الفقهاء!

لكن رغم ما عُرف عن هذه الدولة بأنها دولة جهاد، إلا أنها تعرضت للعديد من الانتقادات والمعارضات، التي اختلفت باختلاف توجهات أصحابها، كما أنها اختلفت في أشكالها، فهناك من كانت معارضته سلمية، وهناك من فضل حمل السلاح في وجهها، ولعل أبرز المعارضات السلمية التي واجهتها السلطة المرابطية، هي التي مثلها بعض الفقهاء! مع العلم أن الدولة المرابطية في السنوات الأولى –أي فترة التوسعات- تمتعت بالتفاف الفقهاء حولها.

غير أنه بانتهاء هذه الفترة، أخذت المواقف تتباين ليرتبط عدد منهم أكثر بهذه الدولة، في حين أخذ بعضهم يتملص من خدمتها، وبعضهم يذهب إلى معارضتها، وذلك نتيجة للأحداث والتطورات التي شهدتها الدولة، كقضية إحراق الإحياء للإمام أبو حامد الغزالي، التي أثارت نقمة كبرى على المرابطين، وأيضا حوادث قرطبة (514هـ/1120م).

لكن هذه المعارضة لم تقتصر على بعض الفقهاء فحسب، بل هناك من حمل لواء المعارضة السلمية، جنبا إلى جنب مع هذه الفئة، كبعض المتصوفة، خاصة إذا علمنا أن علاقة هذه الأخيرة بالسلطة المرابطية، كانت تمتاز بنفور كل منهما للآخر، فمثلا السلطة المرابطية كانت ترى في سلوك المتصوفة خروج عن النظرة المالكية للدين.

غير أن معارضة ابن تومرت السلمية، كانت من أشد المعارضات التي عرفتها الدولة المرابطية، خاصة وأن هذا الأخير سلك أسلوبا فريدا في معارضته هذه، وذلك من خلال طعنه في عقيدتهم، حيث جاء بدعوة مضادة لدعوتهم، كما أنه أعلن ضدهم حربا كلامية، تهدف إلى ضعفهم وهدم دعوتهم، وبالتالي ما يلاحظ على هذه المعارضات أنها كانت فردية.

أما الشكل الثاني للمعارضة في عصر الدولة المرابطية، فقد تمثل في الثورات والفتن، التي اجتاحت بلاد المغرب والأندلس، لكن الشيء الملفت للنظر، ليس توقيتها وسرعة اشتعالها فقط، بل أيضا تسرع أولئك المعارضين للسلطة المرابطية، دون رؤية أو تفكير في عاقبة الأمور، ولعل أهم هذه الثورات:

- ثورة المتصوفة بزعامة ابن قسي،لبس قناع التصوف من أجل تحقيق أهدافه ومآربه في الوصول إلى السلطة، وأيضا استغل قضية إحراق الإحياء للإمام الغزالبي في حشد الأتباع والجموع، كما أنه ادعى الهداية وتسمّى بالإمام، تأثرا بمهدي الموحدين ابن تومرت، نظرا لما حققته دعوة هذا الأخير من انتشار واسع، خاصة في العدوة المغربية، لكن رغم الفشل الذي مُنّي به ابن قسي، إلاّ أن معارضته ساهمت في زعزعة أركان النظام المرابطي.

- ثورة الفقهاء والأعيان، وأكثر ما ميز هذه الثورات، أنها اجتاحت جل المدن الأندلسية، كما أن اندلاعها كان في وقت واحد، بالإضافة إلى أن زعماءها كان أغلبهم من الفقهاء، الذين كانوا

يحتلون مكانة مرموقة في الدولة المرابطية، لكنهم عندما شعروا بضعفها، وأنها على وشك الانهيار، عملوا على معارضتها، من أجل الحفاظ على مكانتهم وسلطتهم المحلية، وأيضا الحفاظ على مكاسبهم وثرواتهم، لكن لم يكن كل الفقهاء ضد الدولة المرابطية، بدليل أن هناك من عارض الثوار من خلال رفضهم مبايعتهم وتأييدهم.

- ثورة الموحدين تعتبر من أشد وأقوى الثورات التي واجهتها الدولة المرابطية، لأنها في البداية كانت عبارة عن حرب دعائية نفسية تزعمها محمد بن تومرت، الذي ما لبث أن أعلن معارضته المسلحة ضدها، وبعد وفاة هذا الأخير، خلفه عبد المؤمن الذي تمكن بدهائه وذكائه وحنكته السياسية من إسقاط دولة، كدولة المرابطين، التي عرفت بأنها دولة جهاد.

وفي الأخير يمكن القول، أن المعارضة سواء كانت سلمية أو مسلحة، ساهمت من قريب أو من بعيد، في إنهاء الحكم المرابطي في منطقة الغرب الإسلامي.

قائمة الملاحق:

ملحق رقم 1: مضارب قبائل الملثمين

ملحق رقم 2: رسالة أو كتاب أبو عمران الفاسي إلى وجاج بن زللو اللمطي يقول فيه:

ملحق رقم 3: خريطة توسعات دولة المرابطين

ملحق رقم4: ظهير توقير واحترام بعثة الأمير علي بن يوسف إلى المتصوف الشبخ أبي عبد الله مخمد أمغار مؤرخ سنة 527هـ

ملحق رقم 5: نص المناظرة بين ابن تومرت والفقهاء الدولة المرابطية

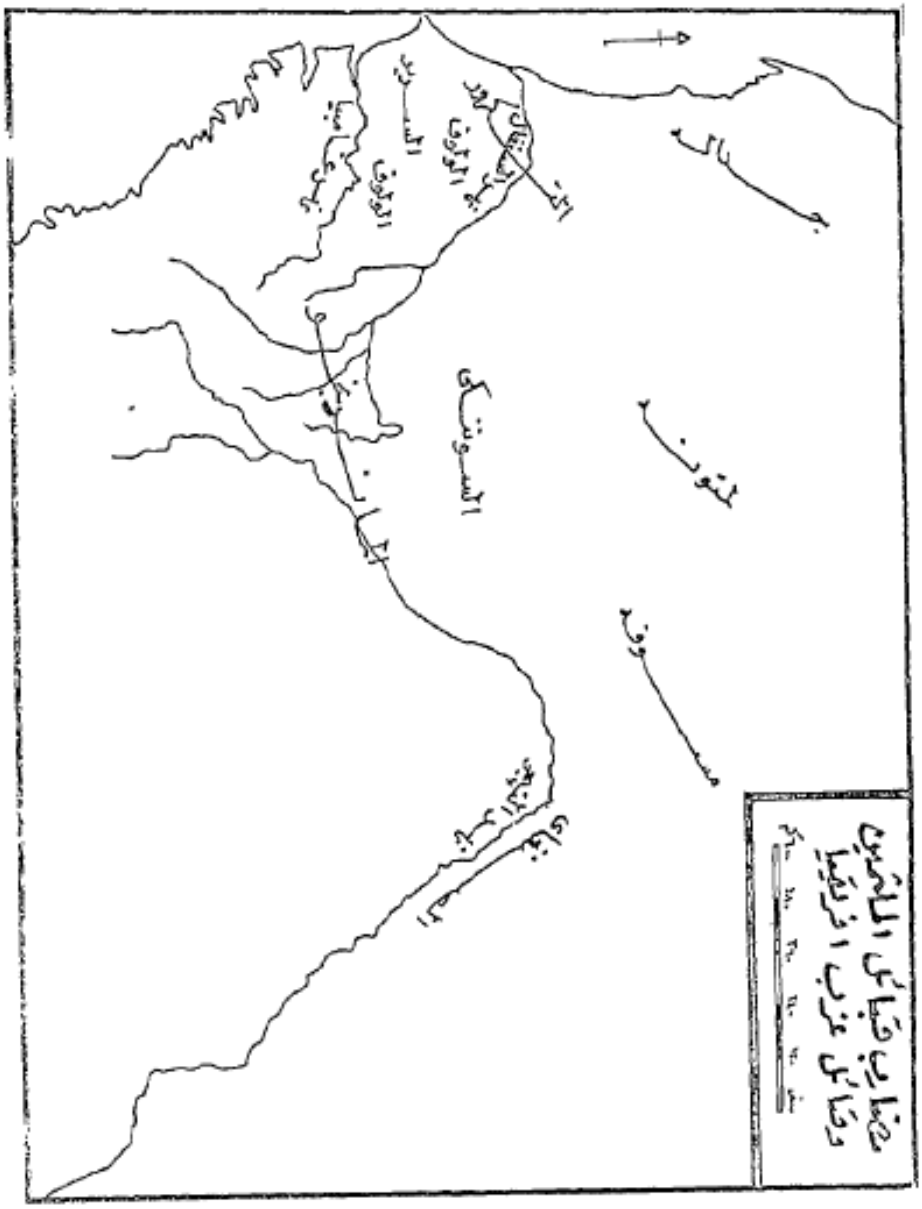
ملحق رقم 6: رسالة ابن العريف لابن قسي

ملحق رقم 7: خطبة ابن تومرت التي أعلن فيها عن مهدويته

ملحق رقم 8: رسالة تهديد من ابن تومرت إلى المرابطين

الملحق رقم 1:

مضارب قبائل الملثمين



[1]- دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام، ص31.**

الملحق رقم 2:

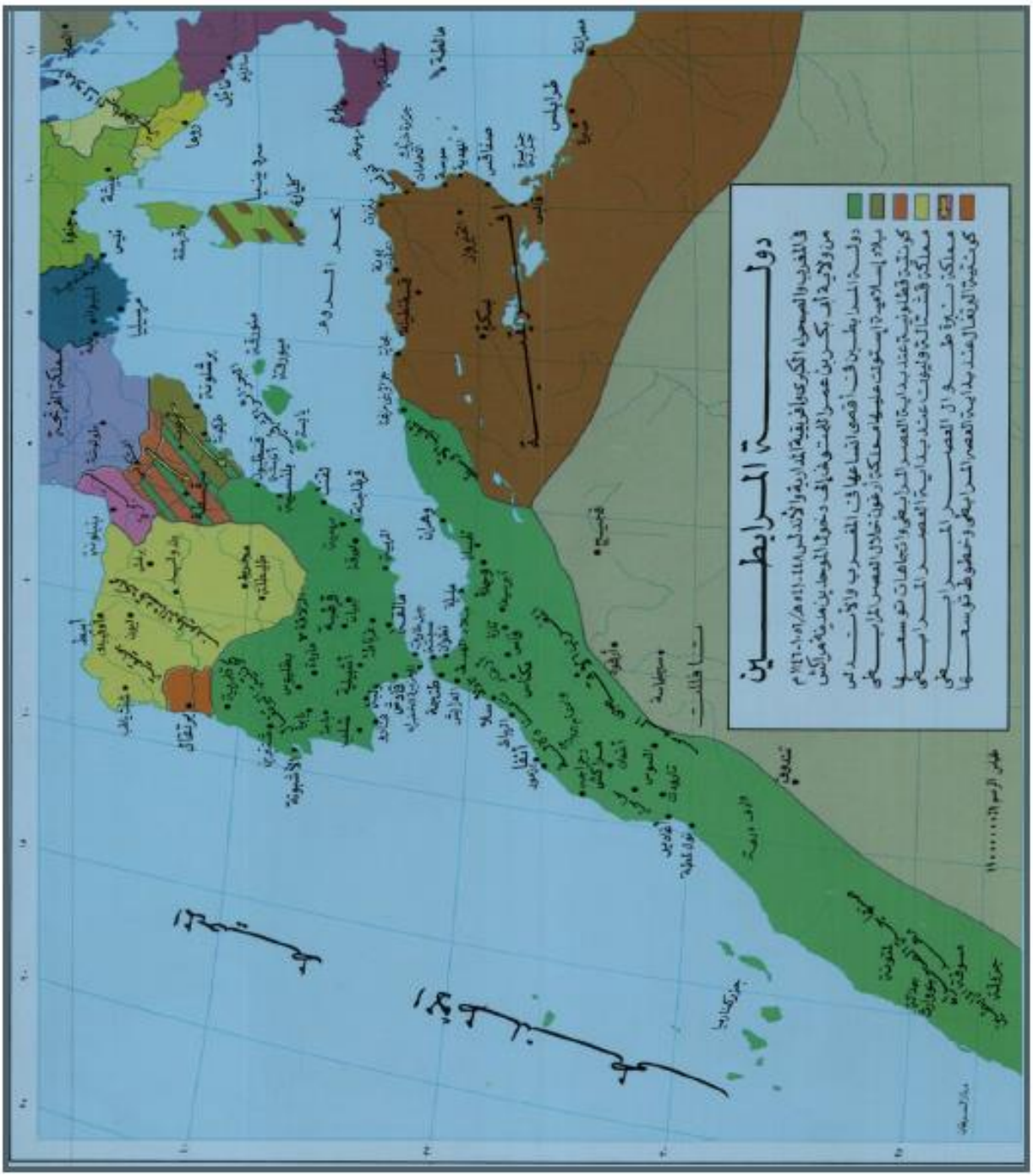
رسالة أو كتاب أبو عمران الفاسي إلى وجاج بن زللو اللمطي:

"سلام عليكم ورحمة الله، أما بعد إذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحي بن إبراهيم الكدالي فابعث معه إلى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه وكثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام في دينهم، عملا، وسلام[1].

[1] –ابن أبي زرع الفاسي: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، د ط، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 123.

الملحق رقم 3:

خريطة توسعات دولة المرابطين



[1]- مؤنس حسين، **أطلس تاريخ الإسلام**، طبعة1، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1987م، ص 165.

الملحق رقم 4:

ظهير توقير واحترام بعثه الأمير علي بن يوسف إلى المتصوف الشبخ أبي عبد الله محمد أمغار مؤرخ سنة 527هـ

"من أمير المسلمين ونصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين إلى أبي عبد الله محمد بن الشيخ الشريف أمغار وليه في الله أكرمه الله بتقواه.

بسم الله الرحمن الرحيم، أبقاك الله وإيانا بتقواه، ويسرك للعمل بما يوافق رضاه.

من حضرة مراكش حرسها الله عقب ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وقد علمنا ما أنت عليه من الخير والدين والجري في أحوالك على نهج الصالح المستبين فاعتقدناك في الأولياء ورتبناك في أهل الذكاء وخاطبناك نادبين لك إلى اختصاصنا بخالص الدعاء، فأقسم لنا في ذلك حظا من ابتهالك في الأوقات المرجوة، واعتمد فيه رسم المواظبة والصفاء والله سبحانه يجعلنا ممن ألهم ما يرضاه واشتمل فيما يوجب زلفاه، ورحمة بقدرته لا إله سواه وتبلغ سلامنا جزيلا كثيرا لأهل حزبك وأهل بيتك الشرفاء والفضلاء ورحمة الله وبركاته"[1]

[1]–بوتشيش، المغرب والأندلس، ص179.

الملحق رقم 5:

نص المناظرة بين ابن تومرت وفقهاء الدولة المرابطية

جرت في مراكش بين ابن تمرت وفقهاء الدولة المرابطية مناظرة شهيرة" في العلم وطرقه، وفي أصول الحق والباطل، وطلب إلى خصومه أن يقدموا من أنفسهم رجلا يتولى عنهم مناظرته، فجعل يسأله، ثم يبين الخطأ في جوابه، ويبسط القول في الجواب الصحيح، وما ورد فيها أنه سأل خصمه: طرق العلم هل هي منحصرة أو غير منحصرة؟ فأجاب: نعم، هي منحصرة في الكتاب والسنة والمعاني التي نبهت عليها، فقال له: إنما سئلت عن طرق العلم هل هي منحصرة أم لا، فلم تذكر إلا واحدا منها، ومن شرط الجواب أن يكون مطابقا للسؤال، فلم يفهم عنه، وعجز عن الجواب. ثم سأله عن أصول الحق والباطل ما هي؟ فعاد إلى جوابه الأول، فلما عجز عن فهم السؤال فضلا عن الجواب، شرع ابن تومرت في بيان أصول الحق والباطل، فقال: أصول الحق والباطل أربعة، وهي العلم والجهل والشك والظن، والعلم أصل للهدى، والجهل والشك والظن أصول للضلال[1].

[1] –عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت(حياته،وآرؤاه، وثورته الفكرية والإجتماعية، واثره بالمغرب)**، ط1، دار الغرب الإسلامي، الأزهر، 1983م، ص 102.

الملحق رقم 6:

رسالة ابن العريف إلى ابن قسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله

من ولي أبي القاسم بن قسي وحافظه من المكارم.

سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللهم إن نسألك من بركات العلم والعمل ما يوصل إلى الجانب الأكمل، ونعود بك من التفريق بعد البداية والنهاية في مدارج التحقيق. ونتوجه إليك بالدعوى في كنف البلوى إذا[سقطت] رسوم الحق ونعوت الصدق، ونتوصل إليك بالفقر إن لم تكن منك عناية والمكر.

اللهم! إن الأولى بكرمك أن نتوسل إليك بما ليس بوسيلة، ونطالب قربك بمعاصيك براءة من كل حيلة، فلا تخيب رجاءنا ولا تكذب عناءنا واستر علينا مالا ستره إلا كرمك، واكتشف من كربنا مالا يكشفه إلا ألطافك ونعمك.

اللهم !لا تقابل[و97] عندنا من مقتك بالزيادة ولا تعر إسلامك من كريم الإفادة، واجعلنا لك وحدك عالمين، وبك عالمين، يا أرحم الرحمين

ذكر لي أبو محمد متحمله-أكرمه الله- أنك تعرفني باسمي، فشغلني فراغي عن معناك، وأن أتعرف منه كيف وصل مثلي إلى هناك. ورأيته خاص الثناء بأبي الوليد بن المنذر، عام الثناء بعد ذلك على الجملة-صان الله جميعهم- ورعب في ثلاثة كتب: أحدها إلى أبي الوليد، والثاني لرجل سماه لي بمحمد بن سالم، فأجبته على ما كرهته أوأجبته، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليك وعلى من لديك ورحمة الله وبركاته[1].

[1] - ابن العريف، المصدر السابق، ص ص 207-208.

الملحق رقم 7:

خطبة ابن تومرت التي أعلن فيها عن مهدويته

"الحمد لله الفعال لما يريد القاضي بما يشاء، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وصلي الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل، وأزيل العدل بالجور مكانه المغرب الأقصى، وزمنه أخر الزمان، واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام، ونسبة نسب النبي إلى صلى الله تعالى والملائكة الكرام المقربون عليه وسلم. وقد ظهر جور الأمرار وامتلأت الأرض بالفساد وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب الفعل الفعل"[1]

[1] ابن الخطيب، الحلل الموشية، ص78

الملحق رقم 8:

رسالة تهديد من ابن تومرت إلى المرابطين

"إلى القوم الذين استزلهم الشيطان، وغضب عليهم الرحمن، الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية، اللمتونة، أما بعد: قد أمرناكم بما نأمر به أنفسا من تقوى الله العظيم، ولزوم طاعته، وان الدنيا مخلوقة للفناء، والجنة لمن اتقى، والعذاب لمن عصى، وقد وجبت لنا عليكم حقوق بوجوب السنة، فإن أديتموها كنتم في عافية، وإلا فنستعين بالله على قتالكم حتى نمحو آثارهم، وهدم دياركم، وحتى يرجع العامر خاليا، والجديد باليا، وكتابنا هذا إليكم أعذار وإنذار، وقد أعذر من أنذر، والسلام عليكم سلام السنة. الإسلام الرضى"[1]

[1]- ابن الخطيب**الحلل الموشية**، ص81.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

-السنة النبوية الشريفة:

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ت256هـ): **صحيح البخاري، كتاب الأحكام،** رقم 7137، طبعة1، دار ابن الكثير، دمشق بيروت، 2002م.

- ابن أبي عاصم (أبو بكر احمد بن عمرو ت687هـ)، **السنة،** باب ما أمر به النبي-صلى الله عليه وسلم- من الصبر عندما يرى المرء من الأمور التي يفعلها الولاة، رقم 1138، تحقيق باسم فيصل الجوابرة، جزء2، طبعة1، دار الصميعي، 1998م.

- صحيح مسلم بشرح النووي: **كتاب الإمارة (وجوب ملازمة جماعة المسلمين)**، جزء12، طبعة1، المطبعة المصرية بالأزهر، 1930م.

- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى ت.679هـ): الجامع **الكبير (سنن الترمذي)**، باب ما جاء في تغيير المنكر، رقم2313، تحقيق شعيب الأرنؤوطي وهيثم عبد الغفور، جزء4، طبعة1، دار الرسالة العلمية، دمشق،2009م.

1) المصادر:

1. ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي):

-المعجم في أصحب القاضي الإمام أبي علي الصدفي، مطبع روخس، مدينة مجريط، 1885م.

-المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الأبياري، طبعة3، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت،1989م.

-الحلة السيراء، تح حسين مؤنس، ج2، ط2، دار المعارف، 1985م

2. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني ت630هـ): **الكامل في التاريخ،** تحقيق محمد يوسف الدقاق، مجلد4، ط1، دار الكتب الغلمية، بيروت، 1987م.

3. ابن بشكوال: الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، جزء3، طبعة1، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة وبيروت، 1989م.

4. البكري (أبي عبيد ت487هـ): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب** وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دون طبعة، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ.

5. البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي): **أخبار المهدي بن تومرت**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

6. ابن تيمية (تقي الدين أحمد ت728هـ):

- **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**، دون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ
- **مجموعة الفتاوى**، اعتنى بها وخرج أحاديثها عامر الجزار وأنوار ألباز، جزء 35، طبعة3، دار المنصور، 2005م.

7. ابن حزم (أبو محمد على بن احمد بن سعيد ت:456هـ): **المحلى**، تح، محمد منير الدمشقي، ج.11، د.ط، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، دون تاريخ.

8. الحصكفي (محمد بن علي ت 1088هـ): **الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار**، تحقيق عبد المنعم خليل إبراهيم، طبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

9. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت): معجم البلدان، مجلد3، دون طبعة، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

10. الحميري (محمد بن عبد المنعم): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، طبعة1، مكتبة لبنان، بيروت، دون تاريخ.

11. ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): **صورة الأرض**، دون طبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.

12. ابن الخطيب (لسان الدين):

-**الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، جزء1، طبعة2، مكتبة الخانجي، القاهرة،1973م.

-**تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط** القسم **الثالث من كتاب أعمال الأعمال**، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دون طبعة، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

-**الحلل الموشية في أخبار المراكشية**، طبعة1، مطبعة التقدم الإسلامي، تونس، دون تاريخ.

13. ابن خلدون (عبدا لرحمان ت.808هـ): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، جزء6، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000م.

14. ابن خلكان (أبو العباس شمس أحمد بن محمد بن أبي بكر ت.681هـ): **وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عيان، مجلد7، دار صادر، بيروت، 1978م.

15. ابن أبي دينار (أبو عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني): **المؤنس في إخبار افريقية وتونس**، طبعة1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها، 1682م.

16. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت.748هـ):

-**العبر في خبر من غبر**، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد وبسيوني زغلول، ج 2، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جزء3، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ.

17. ابن الزبير (أبو جعفر بن إبراهيم ت708هـ): **صلة الصلة**، تحقيق عبد السلام هراس وسعيد اعراب، جزء4، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، 1994م.

18. ابن أبي الزرع الفاسي: **الأنيس المطرب في روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دون طبعة، صور للطباعة، الرباط، 1972م

19. الزركشي (أبو عبد الله بن إبراهيم): **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح، محمد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة تونس، 1966م.

20. الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ت 617هـ): **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباسي السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، طبعة2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997م.

21. ابن سعيد: **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، جزء1، طبعة4، دار المعارف، القاهرة، 2009م.

22. الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ت548هـ): **الملل والنحل**، تحقيق أمير علي مهنا وآخرون، جزء1، طبعة3، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

23. الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد الفهري ت520هـ): **سراج الملوك**، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، مجلد1، طبعة1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1994م.

24. ابن عذارى المراكشي:

- **البيان المغرب (قسم الموحدين)**، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، طبعة1، دار الغرب الإسلامي ودار الثقافة، بيروت، المغرب، 1985م.
- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح، إحسان عباس، ج4، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.

25. ابن العريف (أبو العباس ت536هـ): **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، تح عصمت عبد اللطيف دندش، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

26. ابن عماد (شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الحنبلي): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق محمود الأرناؤوط، مجلد5، طبعة1، دار ابن كثير، بيروت، 1989م.

27. عياض (بن موسى بن عياض السبتي ت544هـ): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تح سعيد أحمد أعرب، ج8، دط، المكتبة المغربية، المغرب، 1983م.

28. ابن فرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد ت403هـ): **تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس**، تحقيق السيد عزت العطار، جزء2، طبعة2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.

29. فيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ت.817هـ): **القاموس المحيط**، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقتوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، د.م.ن، 2005م.

30. ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن عبد الملك الكتامي ت منتصف القرن 7هـ): **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق محمود علي مكي، طبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

31. القلقشندي (أبو العباس أحمد): **صبح الأعشى في صناعة الانشا**، جزء4، دون طبعة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م.

32. ابن كثير (عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر ت774هـ): **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، جزء11، ط1، دار هجر، د.م.ن، 1998م.

33. المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير البكوس ومحمد العروسي المطوي، جزء1، طبعة2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م.

34. الماوردي (علي بن محمد حبيب ت450هـ): **نصيحة الملوك**، تحقيق خضر محمد خضر، طبعة1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م.

35. مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق عبد القادر بوباية، طبعة1، دار أبي رقاق، الرباط، 2005م.

36. المراكشي (عبد الواحد): **وثائق المرابطين والموحدين**، تحققيق حسين مؤنس، طبعة1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1997م.

37. المسعودي (أبو الحسن بن على ت346هـ): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق كمال حسن مرعي، جزء3، طبعة1، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م.

38. المقري (أحمد التلمساني): **نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، مجلد 2، دط، دار صادر، بيروت، 1988م.

39. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): **لسان العرب**، مجلد14، دون طبعة، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

40. النباهي (أبو الحسن بن عبد الله): **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، طبعة5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م.

41. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت.733هـ): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد الحميد ترحيني، ج24، دون طبعة، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ.

42. ابن هشام (محمد أحمد حسين بن الخطيب ت617هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جزء3، طبعة3، دار الكتاب العربي، 1990م.

43. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب): **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق عبد الأمير مهنا، مجلد2، طبعة1، الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010م.

2- المراجع العربية:

44. أبو الفضل (محمد): **شرق الأندلس في العصر الإسلامي (515هـ/686هـ)**، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.

45. بختي (جمال علال): **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن السابع**، طبعة1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م.

46. البدري (عبد العزيز): **الإسلام بين العلماء والحكماء**، دون طبعة، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، دون تاريخ.

47. بوتشيش (إبراهيم القادري):

- **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط1، سينا للنشر، مصر، 1995م.
- **المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع-الذهينات-الأولياء)**، طبعة1، دار الطليعة، بيروت، 1993م.

48. بونابي (الطاهر): **التصوف في الجزائر خلال القرن(6-7هـ/12-13م)**، دون طبعة، دار الهدى للنشر والتوزيع، عين مليلة، دون تاريخ.

49. بيلي (محمد بركات): **دراسات في تاريخ الدولة العباسية**، دون طبعة، دون دار النشر، القاهرة، 2004م.

50. حسن (علي حسن): **الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، طبعة1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م.

51. حمدي (عبد المنعم محمد حسين): **التاريخ السياسي والحضاري بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين**، دون طبعة، دار المعرفة الجامعية، دون مكان نشر، 1997م.

52. حمود إسماعيل عبد الرزاق: **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، طور الانهيار الرابع**، طبعة1، دار مصر المحروسة، القاهرة، 2005م.

53. دغفوس (راضي): **دراسات في التاريخ العربي الإسلامي الوسيط**، طبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005م.

54. دندش (عصمت عبد اللطيف):

- **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين (عصر الطوائف الثاني510هـ-546هـ/1116-1151م)**، طبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.
- **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا 430-515هـ/1038-1121م**، طبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

55. الزركلي (خير الدين): **الأعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، جزء2، طبعة15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

56. السامرائي وآخرون: **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، ط1، دار أويا، بيروت، 2000م.

57. سعدون عباس نصر الله: **دولة ال مرابطين في المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين**، طبعة1، دار النهضة العربية، بيروت، 1985م.

58. السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، دون طبعة، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، دون تاريخ

59. شلبي (احمد): **السياسة في الفكر الإسلامي**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1983م.

60. الصلابي (علي محمد): **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، طبعة1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

61.صليبا (جميل): **المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية**، ج2 ،د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.

62. عبد الخالق (نيفين): **المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي**، ط1، مكتبة الملك فيصل الإسلامية، القاهرة، 1980.

63. العثيمين (محمد بن صالح): شرح كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة1، الدار العثمانية، دار ابن حزم، عمان، بيروت، 2004م.

64. العسكري (عبود): **أصول المعارضة السياسية في الإسلام**، طبعة1، دار النمير ودار معهد، سورية، 1997م.

65. عنان (محمد عبد الله): **دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين والمحدين**، ط2، مكتبة الخانجى، القاهرة، 1990م.

66. العوضي (احمد): **الحقوق السياسية للرعية**، طبعة5، مؤسسة رمز الأردن، 1995م.

67. غانم (حامد زيان): **صفحة من تاريخ الخلافة العباسية في ظل دولة المماليك**، دون طبعة، الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1978م.

68. الغناى (مراجع عقيلة): **قيام دولة الموحدين**، دون طبعة، جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م.

69. الفقي (عصام الدين عبد الرؤوف): **تاريخ المغرب والأندلس**، دون طبعة، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، دون تاريخ.

70. بن قربة صالح: **عبد المؤمن بن علي موحد بلاد المغرب**، د ط، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر،2007م.

71. مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004م.

72. محمود عكاشة: **تاريخ الحكم في الإسلام دراسة في مفهوم الحكم وتطوره**، طبعة1، مؤسسة المختار، القاهرة، 2002م.

73. محمود (حسن أحمد): **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ.

74. مؤنس حسين:

- **سبع وثائق جديدة عن الدولة المرابطية وأيامهم في الأندلس**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، 2000م.
- **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 516هـ/1118م**، من أربع وثائق جديدة، دون طبعة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1992م.
- **أطلس تاريخ الإسلام**، طبعة1، الزهراء للإعلام العربي، مدينة نصر، القاهرة، 1987م.

75. النّجار (عبد المجيد): **المهدي بن تومرت، حياته وآراءه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب**، طبعة1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983 م.

76. الهواري (زهير): **السلطة والمعارضة في الإسلام بحث في الإشكالية الفكرية والاجتماعية 11-132هـ/612-750م**، طبعة1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2003م.

77. ابن ميسرة (عمر): **الثقافة والفتن والمجتمع نماذج من المغرب الإسلامي**، طبعة1، جذور للنشر، الرباط، 2006م.

2) المراجع المعربة:

1. أشباخ يوسف: **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر محمد عبد الله غنان، ج3، ط2، الخانجي، القاهرة.

2. ج.س.كولان: **الأندلس**، ترجمة إبراهيم خورشيد، طبعة1، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة، 1980م.

3. كوربان (هنري): **تاريخ الفلسفة الإسلامية**، ترجمة نصيرة مروة وحسن قيسي، طبعة2، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، 1998م.

4. لويس برنارد: **الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام**، تر، محمد العرب موسى، مكتبه مدبولي، القاهرة، 2006م

3) الرسائل الجامعية:

1. بلغيث (محمد الأمين): **الحياة الفكرية بالأندلس** 479(-539هـ/1085-1144م)، إشراف عبد الحميد حاجيات، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2006م.

2. جدو (فاطمة الزهرة): السلطة والمتصوفة في الأندلس في عهد المرابطين والموحدين 479-535هـ/1086-1238، مذكرة ماجستير، إشراف إبراهيم بكير بحار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م

3. حمادي (عمر): **الفقهاء في عصر المرابطين**، إشراف، محمد الطالبي، شهادة التعمق في البحث (تاريخ وسيط)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس،1987م.

4. عبد النبي (محمد): **مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال افريقية والأندلس**، رسالة ماجستير، قسم الدراسات العليا، جامعة الملك عبد العزيز، بمكة المكرمة، 1979م.

5. لقام خالد: **دور الصوفية في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية بالمغرب الإسلامي في عهد الموحدين**، مذكرة لنيل شهادة أستاذ التعليم الثانوي، إشراف، عبد الحكيم بوازيدي، جامعة بوزريعة، 2013م.

4) الدوريات والندوات والملتقيات:

1. بدراوي (محمد اليعقوبي): **إحراق كتاب الإحياء في المغرب الإسلامي**، مجلة المناهل، عدد9، الرباط، 1977م.

2. بلغيث (محمد الأمين): **العلاقات الحمادية المرابطية من خلال ديوان الإنشاء**، أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من التأسيس 398-1427هـ/1007-2007م، أيام 9-10-11 أفريل 2007م، المسيلة.

3. بنصيح (عبد الواحد): **قضية إحراق كتاب الإحياء الملابسات والأسباب والمبررات**، مجلة الإحياء، عدد6، الرباط، 1995م.

4. بوكيلي (فائزة): محنة صوفية الأندلس في العهد المرابطي سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 170، ط1، جامعة محمد الخامس أكدال، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، دار أبي قراق، الرباط، 2012م.

5. عموش (بسام): **المعارضة السياسية من منظور إسلامي**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد6، عدد2، 2010م.

قائمة الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات:

الآية	السورة	رقمها	الصفحة
وَإِذَا تَوَلّى سَعَى فِي اَلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ اَلحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لَ يُحِبُّ اَلْفَسَادَ وَإِذَا قِيْلَ لَهُ اِتَّقِ اَللهَ أَخَذَتْهُ اَلْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِيسَ اَلمِهَادُ"	البقرة	205- 206	**10**
"وَشَاوِرْهُمْ فِي اَلأَمْرِ"	آل عمران	159	**10**
"فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اَللهِ وَالرَّسُولِ"	النساء	59	**09**
"وَلَا تَركَنُواْ إِلَى اَلْذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ اَلْنَارُ وَمَالَكُم مِّنْ دُونِ اَللهِ مِنَ اَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنْصَرُونَ"	هود	113	**10**
"وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا اَلسَّبِيلَا رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ اَلْعَذَاب، وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا"	الأحزاب	68-67	**09**
"وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ"	الشورى	38	**10**
"وَالْعَصْرِ إِنَّ اَلْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ اَلْذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ اَلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَواْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَواْ بِالصَّبْرِ"	العصر	3-1	**10**

فهرس الأماكن:

الإسكندرية: 18، 51، 52

اشبيلية: 38، 61، 64

انتقيرة: 69

الأندلس: 30، 31، 33، 35، 36، 37، 38، 40، 43، 51، 60، 62، 63، 66، 68، 69، 72، 78

بجاية: 49، 57

بغداد: 51

بلنسية: 69، 70، 71

تادلا: 29

تادلة: 72

تلمسان: 53، 78

تنيمل: 54، 76، 78

درعة: 76

سرقسطة: 31، 35

شلب: 61، 62، 64

غرناطة: 67، 68، 71

فاس: 22، 29، 78

قرطبة: 34، 37، 56، 64، 65، 66، 67

مالقة: 69

مراكش: 29، 47، 48، 54، 56، 75، 78، 79

مرسية: 38، 67، 68، 71

المرية: 36، 41، 47

المغرب: 20، 21، 22، 23، 24، 29، 31، 36، 40، 43، 51، 52، 53، 54، 55، 62، 74، 79

مكة: 51

مكناس: 54

ميرتلة: 63، 64

وهران: 29، 78

يابرة: 63

فهرس الأعلام:

- أ -

ألفونسو السادس: 30

إسحاق بن علي: 78، 79

أبا إسحاق إبراهيم: 75

- ب -

أبا بكر رضي الله عنه: 14، 16

أبو بكر بن محمد اللمتوني: 74

أبو بكر بن الجبر: 28

- ح -

حسن البصري: 11 ،17

أبو حامد الغزالي: 35، 37، 51، 52، 62، 65

أبو الحكم بن حسون: 69

ابن حمدين: 36، 66، 67

- ط -

بن الطلاع: 34، 35

-ع -

علي بن أبي طالب رضي الله عنه: 11، 15، ،1916، 54

علي بن يوسف: 36، 45، 47، 49، 50، 51، 56، 74

عمر بن الخطاب: 14

عثمان بن عفان: 15، 21

عبد الله بن همشك: 75

عبد الله بن كريس: 45

عبد الله بن ياسين: 22، 26، 27، 29

عبد العزيز البدري: 17

عبد المؤمن بن علي: 53، 76، 78

ابن عباس: 18

ابن العريف: 41، 47، 48

أبو عبد الله أبي عيسى السبتي: 38

أبو عمران الفاسي: 25، 26

أبي عيسى الصدفي: 38

– ف –

أبو الفضل النحوي: 36، 37

الفرزدق: 18، 19

– ق –

أبو القاسم بن ورد: 37

أبو القاسم بن قسي: 60، 61، 62، 63، 64، 65

القاضي عياض: 14

–م –

مزدلي: 69، 75

محمد بن ميسرة: 40، 42

مالك بن وهيب: 56، 57

المختار أبي عبيد الثقفي: 19

المهدي بن تومرت: 35، 51، 52، 53، 55، 56، 57، 58، 65، 66، 74، 75، 76

أبو مسلم الخولاني: 17

ابن المنذر: 48، 63، 64

– ي –

يوسف بن تاشفين: 22، 28، 29، 30، 31، 33، 60

يحي بن إبراهيم: 25،26، 27، 28

يحي بن غانية: 66، 67، 69

– و –

وجاج بن زلو اللمطي: 26، 29

فهرس الفرق:

الإباضية: 22

الأدراسة: 21

الخوارج: 16، 21

الشيعة: 18، 21، 20، 29، 42، 55

الصفرية: 21

الفاطمية: 20، 21

المالكية: 42، 58

المدرارية: 21

المعتزلة: 55

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

الشكر

الإهداء الأول

الإهداء الثاني

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ

المبحث الأول: مفاهيم حول المعارضة ودولة المرابطين 06

1- لأصول المعارضة عند المسلمين وتطورها..... 07

2- المرابطون وأثرهم في بلاد المغرب الإسلامي..... 22

المبحث الثاني: المعارضة السلمية لسلطة المرابطين 32

1- معارضة بعض الفقهاء..... 33

2- معارضة بعض المتصوفة..... 40

3- معارضة ابن تومرت السلمبة..... 51

المبحث الثالث: المعارضة المسلحة ضد دولة المرابطين 59

1 ثورة المتصوفة (ابن قسي)..... 60

2 ثورة الفقهاء والأعيان..... 66

3 ثورة الموحدين وتوسعات عبد المؤمن..... 74

الخاتمة..... 81

الملاحق..... 85

قائمة المصادر والمراجع 95

قائمة الفهارس 107

فهرس المحتويات